الفصل الرابع
أمـــاكـــن التعليـــم

مقدمة

يتحدث الباحث في هذا الفصل عن أماكن التعليم التي أوردها ياقوت الحموي في كتابه " معجم الأدباء " والتي كان الطلاب يتلقون من خلالها مع أساتذتهم للأخذ من علومهم، والتزود من معارفهم، وقد أرخ ياقوت الحموي لهذه الأماكن التعليمية، من خلال حديثه عن الطلاب والعلماء الذين حصلوا الكثير من العلوم بداخل هذه الأماكن والمؤسسات التعليمية، يقصد بها الأماكن التي تقوم بمهمة تعليم الناس مثل:

أولا: المساجد وتشمل (حلقات العلماء).

ثانيا: الكتاتيب (الكتاب).

ثالثا: المدارس.

رابعا: منازل العلماء وتشمل (مجالس العلماء).

خامسا: مجالس الأمراء الوزراء.

سادسا: أماكن الحرب وتشمل (الأربطة والخوانق).

سابعا: الأسواق.

تاسعا: أماكن التجارة، وتشمل معها:

أ- المكتبات ب- البيمارستانات.

وفي تصنيف الباحث لأماكن التعليم، وتصنيف الطلاب الذين تعلموا من خلالها والعلماء الذين درسوا بها، اتبع الباحث التصنيف الذي يعتمد على الترتيب القرني، حتى يسهل على المتصفح لهذه الرسالة الحصول على المعلومة المتعلقة بمؤسسة معينة من المؤسسات التعليمية في أقصر وقت ممكن.

أولا : المساجد

تعد المساجد التي قامت بدور تعليمي تربوي في عصور الإسلام، والتي تزود منها الطلاب متعددة وكثيرة، وقد أجمعت آراء كثير من رجال التربية والمفكرين في الوقت الحاضر على أهمية التربية غير المدرسية، في إعداد وتنشئة الأحوال وذلك لما يواجهه التعليم النظامي من مشكلات، والمسجد كمؤسسة تربوية داخل المجتمع (قديما وحديثا) يعمل في مجال التنمية البشرية، ويمكنه القيام بدور كبير في بناء وتربية العقل الإنساني وصقله بالعلوم الدينية والدنيوية، من خلال الخطب المنبرية التي تلقى فيه، والندوات التي تعقد بداخله، ومن خلال ذلك نلاحظ أن للمساجد دورا تربويا كبيرا في داخل المجتمع، ساعد ذلك أن التربية ليست عملية قائمة بذاتها، بل أنها في جوهرها عملية ثقافية فهي تشتق مادتها من واقع حياة المجتمع و ثقافته، كما أن الثقافة والتعليم لا يستمران إلا باكتساب الأفراد لأنماطها ومعانيها، ولذا كان على الباحث التربوي أن يحفر تحت أرض الواقع الذي يعيش فيه بحثا عن الجذور التي أنبتته وليست مهمته أن يغلق على نفسه باب مكتبه ليصول ويجول بعقله في تأملات فلسفية، فظهور الإسلام كان ثورة تربوية عامة، والمساجد كانت من أبرز الوسائط التربوية، التي لعبت دورا تربويا هاما في بدء الدعوة الإسلامية وكان النبي صلى الله عليه وسلم أول من اتخذ المسجد مكانا للدعوة والتعليم، فبعد الهجرة انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم بنشاطه الديني والتعليمي إلى المسجد، وكان مسجد قباء أول المساجد التي قامت في الإسلام على نشاط التعليم لأمور الدين، فالمسجد هو المكان الطبيعي والأصلي للكلمة الطيبة الأمينة المتعلمة التي تزود المسلمين بالمعرفة، وبذا لا تستطيع أي مؤسسة تربوية أن تنافس ت٣٤٤المسجد في النفاذ إلى نفوس الناس

ومشاعرهم، وأن الفرق بين توجيه أي مؤسسة تربوية وتوجيه المسجد، أن رواد المسجد يذهبون إليه متعبدين بكل خطوة يخطونها إليه متقربين إلى الله، راجين مغفرته(١).

وبذلك كان المسلمون في أول عهدهم بالتعليم يتخذون مدارسهم في الجوامع والمساجد، وكانوا يسمون التلاميذ المجتمعين حول أستاذهم لتلقي العلم (حلقة) وينسبون كل حلقة في الغالب إلى أستاذها(٢)، ومن المساجد التي اشتهرت بالتدريس في القرن الثاني الهجري كما تحدث عنها ياقوت، وعما يدور فيها من حلقات علم:

١- مسجد المدينة:

كان من المساجد التي قامت بدور تربوي تعليمي، فقد عقد بداخله حلقات الفقهاء التي عقدت لتفقيه الناس في أمور دينهم ودنياهم، وهذا يتفق مع تعاليم الدين الإسلامي ولقي ذلك تأييد كثير من العلماء والمفكرين وبشكل خاص أنصار المذهب الديني المحافظ الذي يسيطر على التوجيه الديني، وقد أورد ياقوت ترجمة لبعض المحدثين كانوا يقومون بالدرس في مسجد المدينة، ومن هؤلاء العلماء:

أ- أبو سعيد أبان بن رباح الجريري، ت ١٤١ هـ:

الذي اهتم بتعليم غيره عن طريق المساجد فقد كان من غلاة الشيعة، من أهل الكوفة، لقي أبان كلا من محمد بن علي بن الحسين، وأبا جعفر فقال له أبو جعفر: يا أبان اجلس في مسجد المدينة وأفت الناس، فإني أحب أن أرى في شيعتي مثلك(٣).

---

(١) سعيد إسماعيل علي، دراسات في التربية الإسلامية، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٢م)، ص ٢٦، وخليفة محمد إبراهيم، الدور التربوي لمراكز الثقافة الجماهيرية في مصر، ماجستير (أصول التربية) كلية التربية بسوهاج - جامعة أسيوط ١٩٨٧م ص ٢٨.

ومحمد منير مرسي، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلارد العربية، الطبعة الثانية (القاهرة: عالم الكتب ١٩٩٣م)، ص ٢٠٥.

وسعيد إسماعيل علي، ديمقراطية التربية الإسلامية، الطبعة الأولى، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٢م)، ص ١٠٣.

(٢) مصطفى أمين، تاريخ التربية، الطبعة الثانية، (القاهرة: مطبعة المعارف، ١٩٢٦م)، ص ١٧١.

(٣) معجم الأدباء ٦٧/١، والزركلي، مرجع سابق، ٢٦/١، واللباب ٢٢٤/١.

ومنه نلاحظ أن مسجد المدينة كان يستقبل العلماء لعقد حلقات فقهية لنشر بعض المذاهب، فهذا أبان كان يعتم بنشر المذهب الشيعي في داخل الكوفة.

ب- أبو سلمة، حماد بن سلمة الملقب بالإمام ت ١٦٧ هـ:

كان أحد رجال الحديث، اهتم بتعليم العربية لغيره بعد تفوقه، وبعد أن حصل منها ما يستطيع أنه يجلس به أمام طلابه، فكان حماد يمر بالحسن البصري في الجامع يعلم الفقه والحديث فيدعه ويذهب إلى أصحاب العربية يتعلم منهم، وكان يحفز طلابه على تعلم النحو فيقول: مثل الذي يطلب الحديث ولا يعرف النحو مثل الحمار عليه مخلاة ولا شعير فيها(١).

ومنه نلاحظ دعوة حماد لغيره من طلاب العلم، والعلماء حتى يتعلموا أصول العربية لكي يتمكنوا من طلب العلوم الأخرى، فالعربية بمثابة الأرض الصلبة التي تخطوا عليها العلوم الأخرى، وقد لعبت حلقات العلماء دورا بارزا في تعلم العربية.

ومع تفوق حماد في العربية، أخذ عنه يونس بن حبيب ت ١٨٢ هـ النحو، وكانت حلقته بالبصرة يرتادها طلاب العلم، وأهل الأدب وفصحاء العرب والأعراب، ووفود البادية، حتى قال أبو عبيد: اختلفت إلى يونس أربعين سنة، أملأ كل يوم ألواحي من حفظه، وفي رواية يونس بن حبيب قال: كان حماد رأس حلقتنا ومنه تعلمت العربية وتعلم منه سيبويه(٢).

٢- مسجد السيدة:

كان من المساجد التي قامت بدور تربوي تعليمي في القرن الثاني الهجري، فقد عقدت بداخله حلقات للعلماء، ومن هؤلاء العلماء:

---

(١) معجم الأدباء ٣/٢٤٥. الزركلي، مرجع سابق ٢/٢٧٢، وتهذيب التهذيب ٣/١١. وإنباه الرواة ١ / ٣٠٩.

(٢) معجم الأدباء ٣ / ٢٤٤. الزركلي، مرجع سابق ٨ / ٢٦١، إنباه الرواة ١ / ٣٠٩. الزركلي، مرجع سابق ٢ / ٢٧٢، وتهذيب التهذيب ٣ / ١١.

- أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي ت ١٩٢ هـ الذي دخل الكوفة، فجاء إلى مسجد السبيع إلى حلقة حمزة بن حبيب الزيات ت ١٥٦ هـ أحد القراء السبعة، وقدم أقام حلقة بمسجد السبيع يقرئ فيها غيره من طلاب العلم(١).

وفي القرن الثالث الهجري قامت بعض المساجد بدور تعليمي تربوي ومن هذه المساجد :

١- مساجد الكوفة: قامت مساجد الكوفة بنشاطها التعليمي عن طريق حلقات العلماء التي كانت تعقد بداخلها ومن العلماء الذين نبغوا في التعليم من خلال هذه المساجد:

- أبو عمرو إسحاق بن مرار الملقب بالأحوص ت ٢٠٥ هـ الذي أدب بعض أولاد بني شيبان من رمادة الكوفة، وجلس يعلم غيره من خلال مساجدها، ففي رواية الخطيب البغدادي قال: جعل الأحوص الشيباني في مسجد الكوفة نيفا وثمانين مصحفا بخط يده للتعليم منها(٢).

وعن طريق الحلقات العلمية في ذلك القرن كان الشافعي ت ٢٠٤ هـ يعلم طلابه الكثير من أنواع العلوم ففي رواية الربيع بن سليمان قال: كان الشافعي (رحمه الله) يجلس في حلقته إذا صلى الصبح فيجيئه أهل القرآن، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه تفسيره ومعانيه، فإذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا، وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر، فلا يزالون إلى قرب انتصاف النهار(٣).

ومنه نلاحظ أن العلماء كانوا يهتمون بنشر علومهم بين المتعلمين دون أن يستأثروا بهذه العلوم لأنفسهم، فقد كانت الحلقات العلمية، التي تعقد بالمساجد بمثابة أماكن للتدريس، ساهمت وتعليم الكثير من العامة والخاصة.

---

(١) إنباه الرواة ٢ / ٢٥٦، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٣٣٠، الزركلي ٢ / ٢٧٧، طبقات المفسرين ص ١٦٩.
(٢) معجم الأدباء ٢ / ١٦٨، الأنباري، مرجع سابق ص ١٢٠، الزركلي، مرجع سابق ١ / ٢٩٦.
(٣) معجم الأدباء ٥ / ٢٠٤، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٥٦٨، معجم المؤلفين ٩ / ٣٢، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٢ / ١٧٧، والسبكي مرجع سابق ٤ / ١، ٥ / ٢.

٢- مسجد ابن رُعْيان:

كانت المساجد تعرف بحلقات العلماء التي تعقد بداخلها، وأحيانا يغلب عليها أن تسمى بحلقة عالم دون آخر، ففي ترجمة ياقوت (لأبي حذيفة إسحاق بن بشر البخاري ت ٢٠٦ الذي استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد ليعلم أهلها، فجلس في مسجد ابن رعيان، يعلمهم الحديث، وقد جمع البخاري بين تعليم غير، والتأليف، فله كتاب: المبتدأ مخطوط الجزء الرابع منه، في المجموع ٧١ بالظاهرية، صنفه في بدء الخلق(١).

٣- مسجد الكسائي:

عرف هذا المسجد باسم مسجد الكسائي نسبة إلى حلقته التي كان يعقدها به فيذكر ياقوت في ترجمة (أبي الحسن، سعيد بن مسعدة الملقب بالأخفش الأوسط ت٢١١هـ الذي قال: وردت بغداد فرأيت مسجد الكسائي، فصليت خلفه الغداة، فلما انفتل من الصلاة قعد بين يديه الفراء والأحمر وابن سعدان، فسلمت عليه وسألته عن مائة مسألة، فأجابني عنها(٢).

٤- المسجد الجامع:

الذي عقدت فيه حلقات تعليمية لتعليم الشعر واللغة، فلم يتوقف دور المساجد على نشر العلوم الدينية فقط، ففي ترجمة ياقوت (لأبي جعفر محمد بن حبيب ت ٢٤٥ هـ الذي كان علامة بالأنساب والشعر والأخبار، وكان مؤدبا لأهل سامراء اتخذ من المساجد مؤسسات تعليمية وحلقات يعلم من خلالها طلابه وروّاد مجلسه، فقد تتلمذ عليه تلمذة مباشرة الكثير من طلاب العلم، وتتلمذ هو على أيدي العلماء، ففي رواية ثعلب قال: أتيت

(١) معجم الأدباء ٢ / ١٦٤، معجم المؤلفين ٢ / ٢٣١، ولسان الميزان ١ / ٣٥٤، وتاريخ دمشق ٢ / ٣٣٧، الخطيب البغدادي، مرجع سابق ٦ / ٣٢٦، الزركلي ١ / ٢٩٤.

(٢) معجم الأدباء ٣ / ٣٨٥، إنباه الرواة ٢ / ٣٦، معجم المؤلفين ٤ / ٢٣١، سير أعلام النبلاء ٧ / ١٨٨، ابن شاكر الكتبي، مرجع سابق ٣ / ٢٥٤، ابن العماد مرجع سابق ٢ / ٣٦.

ابن حبيب وقد بلغني أنه يملى شعر حسان بن ثابت، في المسجد الجامع، إليه الناس فسأله سائل عن أبيات ففسر ما فيها من اللغة(١).

وفي القرن الرابع الهجري، قامت المساجد بدورها التعليمي على مستوى أرفع من القرنين السابقين، وكانت هذه المساجد تعرف بحلقات العلماء التي تعقد بداخلها، فقد كان لكل عالم مسجد، وذكر ذلك ياقوت في كتابه (معجم الأدباء) ومن هذه المساجد التي عرفت بأسماء علمائها:

- مسجد أبو عبيد القاسم بن سلام.
- مسجد بني علان.
- مسجد أبو بكر هشام بن معاوية الضرير.
- مسجد الطبري.

وقد ذكرها النعيمي في كتابه " الدارس في تاريخ المدارس " وقد أوردها(٢) ياقوت في ترجمة أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ قال: عرفت المساجد بدولها التعليمي في هذا العصر، وكان تعرف بعلمائها أصحاب الحلقات، ففي رواية عبد العزيز بن محمد قال: قرأت قنطرة البردان، وهي مخطوطة، فكان فيها أبو عبيد القاسم بن سلام ومسجده وراء سويقة جعفر، ومسجده معروف به،وكان فيها علان الأزدي (وقد ذكره النعيمي بمسجد بني علان) ومسجده معروف به، وكان فيها أبو بكر هشام بن معاوية الضرير، وكان مسجده عند مسجد الكسائي وقد نزل الطبري دمشق وقرأ عليه كبار الناس في مسجده(٣).

---

(١) معجم الأدباء ٥ / ٢٨٨، معجم المؤلفين ٩ / ١٧٤، جورجي زيدان، مرجع سابق ٢ / ١٩٣، الخطيب البغدادي مرجع سابق ٢ / ٢٧٧، الزركلي، مرجع سابق ٦ / ٧٨.

(٢) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: جعفر الحسني، الطبعة الأولى، الجزء الثاني (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٨٨م، ص ٣١٤).

(٣) معجم الأدباء ٥ / ٢٥٨، معجم المؤلفين ٩ / ١٤٧، تذكرة الحفاظ ٢ / ٣٥١، ابن العماد ٢ / ٢٦٠، ابن خلكان، مرجع سابق ٤ / ١٩١، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٣ / ٢٠٥، الكامل في التاريخ ٨ / ٤٢.

- مسجد الأنباريين:

عرف هذا المسجد بدوره التربوي التعليمي في القرن الرابع ومن العلماء أصحاب الحلقات به:

١- أبي عبد الله إبراهيم بن محمد الملقب بنفطويه ت ٣٢٣ هـ كان فقيها، ومسندا في الحديث، أتقن حفظ السيرة ووفيات العلماء، وجلس إلى أسطوانة (عمود) بجامع المدينة يدرس لتلاميذه فيقول: جلست إلى هذه الأسطوانة منذ خمسين سنة للتدريس وكان أول ما يبتدئ به في مجلسه بمسجد الأنباريين القرآن الكريم، ثم كتب العلوم الأخرى من بعده(١).

٢- أبو بكر، محمد بن القاسم المعروف بالأنباري ت ٣٢٧ هـ الذي كان يجلس ليملي على طلابه في ناحية من المسجد وأبوه في ناحية أخرى، فقد كان الأنباري، يحفظ ثلاثمائة ألف شاهد في القرآن(٢).

ولم يقتصر الأنباري على التعليم العام لطلاب المسلمين، بل كان يهتم بالتعليم الخاص أيضا فقد كان يتردد إلى أولاد الخليفة الراضي بالله يعلمهم(٣).

- جامع البصرة:

كان من المساجد التي قامت بدور تعليمي في ذلك القرن، ولم يقتصر التدريس في ذلك المسجد على العلوم الدينية بل كانت العلوم اللغوية لها نصيب من التدريس بذلك المساجد، ومن أصحاب الحلقات بذلك المسجد:

١- أبو عبد الله محمد بن أحمد الملقب بالمفجع ت ٣٣٥ هـ الذي اتخذ من جامع البصرة مكانا يلتقي فيه مع طلابه، ففي رواية: أبي محمد بن عبدالله بن بشران قال: كان المفجع يجلس في الجامع بالبصرة فيكتب عنه طلابه، ويقرؤوا عليه الشعر واللغة والمصنفات.

---

(١)معجم الأدباء ١/ ١٦٢،وإنباه الرواة ١/ ١٧٦،الخطيب البغدادي، مرجع سابق٦/ ١٥٩، الكامل في التاريخ ٨ / ١٠٠.
(٢) معجم الأدباء ٥ / ٤١٠، جورجي زيدان، مرجع سابق ٢ / ١٨٢، الزركلي، مرجع سابق ٦ / ٣٣٤.
(٣) جورجي زيدان، مرجع سابق ٢ / ١٨٢، الزركلي، مرجع سابق ٦ / ٣٣٤.

وكان العلماء يمتنعون عن الحضور إلى حلقات التعليم إذا لحقهم أذى من طلابهم، فقد امتنع المفجع من الجلوس مدة إلى طلابه، بسبب سب لحقه من بعض من حضره فخوطب في ذلك، فقال: لو استطعت أن أنسيهم أسماءهم لفعلت(١).

ومنه نلاحظ أن تطبيق مبدأ الثواب والعقاب كان محققا في ذلك القرن، فكان العلماء يعاقبون الطلاب المخطئين بحرمانهم من إلقاء العلم عليهم، بسبب سوء أخلاقهم وهو ما يحدث الآن في الوقت الحاضر عند إساءة الطلاب لأساتذتهم، فإنهم يعاقبون بمثل ذلك الحرمان.

وفي بغداد كانت حلقة أبو بكر أحمد بن موسى البغدادي الملقب بالمقرئ، ت ٣٢٤ هـ، التي كان يعلم تلاميذه القراءة والكتابة من خلالها، وقد قرأ في حلقته، نحو ثلاثمائة مصدر، وكان له في حلقته أربعة وثمانون خليفة، يأخذون على الناس، وبذلك كان أبو بكر مؤدبا في أهل بغداد(٢).

ومنه نلاحظ أن المعلم كان يتخذ لنفسه مساعدون (خلفاء) من بين تلاميذه وكانت مهمتهم مساعدة الطلاب والمتعلمون في توصيل أسئلتهم إلى المعلم، وكذلك ترتيب الجلوس.

- مسجد الجامع بالأندلس:

كان من المساجد التي قامت بدور تربوي في ذلك القرن، ففي ترجمة ياقوت (لأبي الفرج علي بن الحسين الملقب بالعلامة الأصفهاني ت ٣٥٦ هـ قال: كان أبو زكر يعلم في حلقة بالمسجد الجامع ببلدة من بلاد الأندلس(٣).

(١) بغية الوعاة ص ١٣، الزركلي، مرجع سابق ٥ / ٣٠٨.
(٢) معجم الأدباء ٢ / ٣٧، معجم المؤلفين ٢ / ١٨٨، سير أعلام النبلاء ١٠ / ٦٦، الزركلي ١ / ٢٦١.
(٣) إنباه الرواة ٢ / ٢٥١، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٢٧٨.

- المسجد الجامع بالكوفة:

كان من المساجد التي درس بها العلماء العلوم اللغوية لتلاميذهم في القرن الرابع،ومن أصحاب الحلقات بهذا المسجد:

- أبو الحسين علي بن عبد الله بن واصيف الملقب بالناشئ الحلاء، ت ٣٦٥ هـ الذي اتخذ من هذا المسجد مؤسسة تربوية يعلم بها تلاميذه، ففي رواية الخالع قال: حدثني أبو الحسين الناشئ قال: كنت بالكوفة في سنة ٣٢٥ هـ، أملي شعري في المسجد الجامع بها، والناس يكتبونه عني، وكان المتنبي إذ ذاك يحضر وهو بعد لم يعرف ولم يلقب بالمتنبي وكان للناشئ قصائد كثيرة في أهل البيت يحفظها فأملاها للمتعلمين(١).

- جامع المقياس بمصر:

كان من المساجد التي تعلم من خلالها الطلاب علم النحو، ومن العلماء أصحاب الحلقات بهذا المسجد:

- أبو أسامة، جنادة بن محمد الهروي الملقب بالنحوي ت ٣٩٩ هـ الذي اهتم بتعليم طلابه عن طريق المساجد التي كانت بمثابة أماكن للتعليم يلتقي بها العلماء مع طلابهم، فقد كان للهروي حلقة بمصر في جامع المقياس، يأخذ عنه أهلها علم النحو، وقد أخذ عنه أبو سهل الهروي(٢).

- الجامع القديم بنيسابور:

كان من المساجد التي تعلم الطلاب من خلالها، فقد أورد ياقوت في ترجمة (أبي نصر، إسماعيل بن حماد، الملقب بالجوهر أو الفارابي ت ٤٠٠ هـ قال: اتخذ أبو نصر من الجامع القديم بنيسابور مكانا للتعليم، يقصده الناس، وكان الجوهري يصعد مكانا عاليا (مرتفعا) للتمييز بين طلابه، فرؤية المعلم أوقع في نفوس المتعلمين(٣).

(١) معجم الأدباء ٤ / ١٤٦، معجم المؤلفين ٤ / ١٤٢، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٣٠٤.
(٢) معجم الأدباء ٢ / ٤٠١، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ١١٧، الزركلي، مرجع سابق ٢ / ١٤٠.
(٣) معجم الأدباء ٢ / ٢٠٨، الثعالبي، مرجع سابق ٤ / ٢٨٩، الزركلي، مرجع سابق ١ / ٣١٣.

- الجامع المنيعي بنيسابور:

الذي اتخذه العلماء مكانا للتعليم عن طريق حلقاتهم، ومن أصحاب الحلقات به

- أبو إبراهيم، أسعد بن مسعود العتبي ت ٤٠٠ هـ كان يعقد حلقة بالجامع المنيعي يملي فيها على المتعلمين، وكان يحضر عنده المحدثون والأئمة، للأخذ عنه والتعلم(١).

ومن المساجد التي قامت بدور تعليمي تربوي في القرن الخامس الهجري:

- المسجد الجامع بواسط:

كان من المساجد التي ساهمت في تعليم الصبيان، فقد اتضح للباحث من استقراء التراجم، التي أوردها ياقوت في كتابه، أن الحلقات التي عقدت بالمساجد في القرن الخامس الهجري، كانت تتسع لحضور الصبيان لا سيما إذا كانت لديهم دافعية للعلم وأظهروا نبوغا، فقد أورد ياقوت على لسان أبي إسحاق، إبراهيم بن سعيد الرفاعي ت ٤٢٢ هـ أنه قدم من بغداد إلى واسط وكان صبيا ذا فاقة (فقيرا)، فدخل إلى الجامع بها إلى حلقة (عبد الغفار الحصيني) فتلقن القرآن، ومع كتب اللغة والدواوين بها، وكان معاشه من أهل الحلقة(٢).

- جامع عمرو بن العاص:

الذي تعلم من خلاله طلاب العلم فقد تعلم به أبي سهل الهروي ت ٤٣٣ هـ الذي سمع به في حلقة أبي عبيد الهروي، وأبي يعقوب البخيرمي، وأبي أسامة جنادة النحوي ومع تقدمه في العلم عن طريق حضور حلقات العلماء، صنف كتاب شرح فصيح ثعلب سماه أسفار الفصيح، قال الزركلي: رأيته بخطه في خزانة مجلة المنهل بمكة(٣).

---

(١) معجم الأدباء ٢ / ١٧٧، معجم المؤلفين ٢ / ٢٤٨.
(٢) معجم الأدباء ١ / ٩٨، تذكرة الحفاظ ٢ / ٨٩، الخطيب البغدادي، مرجع سابق ٦ / ٩٣.
(٣) معجم الأدباء ٥ / ١٠٩، الوافي بالوفيات ٤ / ١٢٠، وإنباه الرواة ٣ / ١٩٥، الزركلي ٦ / ٢٧٥.

- جامع المعرة:

الذي اتخذه المعري لتعليم تلاميذه ففي ترجمة ياقوت (لأبي العلاء أحمد بن عبد الله المعري ت ٤٤٩ هـ قال: رحل المعري إلى بغداد وأقام بها سنة وسبعة أشهر وكان يقوم بتعليم تلاميذه في مسجده، ففي رواية السمعاني قال: ذكر التبريزي وهو من تلاميذ المعري قال: كان المعري في مسجده بمعرة النعمان فدخلت عليه وجلست بين يديه أقرأ عليه شيئا من تصانيفه(١).

- الجامع الكبير بأصبهان:

الذي تعلم من خلاله الطلاب علم الحديث ومن هؤلاء الطلاب أحمد بن الفضل الباطرقاني ت ٤٦٠ هـ الذي سمع الحديث بالجامع الكبير من أبي عبد الله إسحاق بن خرشيدة التاجر(٢).

- جامع دمشق من المساجد التي قامت بدور تربوي تعليمي، وقد ذكر قتادة قوله: إن الله (تبارك وتعالى) أقسم بمساجد أربعة فقال: والتين (وهو مسجد دمشق بما به من شجر التين)، والزيتون (وهو مسجد بيت المقدس) وطور سنين (وهو حيث كلم الله تعالى موسى عليه السلام)، والبلد الأمين (وهو مكة المشرفة)(٣).

ومن العلماء أصحاب الحلقات في هذين المسجدين في ذلك القرن:

- أبو بكر أحمد بن علي الملقب بالخطيب البغدادي ت ٤٦٧ هـ الذي انتهى إليه معرفة علم الحديث وحفظه، واهتم بإسماع الحديث لغير، فقد دخل بعض أكابر العلماء جامع دمشق، فرأى حلقة عظيمة للخطيب البغدادي، والمجلس غاص بطلاب العلم يسمعون منه الحديث(٤).

---

(١) معجم الأدباء ١ / ٤١٠، سير النبلاء ١١ / ١٥٤، ابن العماد، مرجع سابق ٣ / ٢٨، الخطيب البغدادي، مرجع سابق ٤ / ٢٤٠، الكامل في التاريخ ٩ / ٢٢٢، الزركلي، مرجع سابق ١ / ١٥٧.

(٢) معجم الأدباء ٥٤٧/١، معجم المؤلفين٢/ ٤٥، وسير أعلام النبلاء ١١ / ١٨٨، ابن العماد، مرجع سابق ٣ / ٣٠٨.

(٣) النعيمي، مرجع سابق ٢ / ٣٧١.

(٤) معجم الأدباء ١ / ٤٩٨، معجم المؤلفين ٢ / ٣، الزركلي، مرجع سابق ١ / ١٧٢.

وقد اتخذ الخطيب البغدادي حلقة أخرى له في جامع المنصور، يعلم من خلالها تلاميذه الحديث والفقه، غير أن الحنابلة آذوه لاختلاف مذهبه، مما جعله يعدل عن الفقه إلى الحديث، وقد كان جامع المنصور ببغداد يشبه جامعة كبيرة، فكان كل أستاذ نابغ يتمنى أن تكون له فيه حلقة، ويصور ذلك ما يروى عن الخطيب البغدادي، أنه شرب من ماء زمزم وسأل الله تعالى أن يملي على الطلاب بجامع المنصور، وقد تحققت له الأمنية فكانت له حلقة زاخرة بالطلاب في هذا الجامع(١).

وكان الخطيب البغدادي يطلب من طلابه أن يحرصوا على الفهم والتفوق العلمي من خلال الدروس التي تلقى عليهم في حلقته، ففي رواية أبو زكريا يحيى بن علي اللغوي قال: كانت للخطيب البغدادي حلقة كبيرة في جامع المنصور بكرة (صباح) كل يوم، يقرأ لهم، وكنت أقرأ عليه الكتب الأدبية المسموعة له، وإذا مر شيء في كتابه يحتاج لإصلاح يصلحه، ويقول أنت تريد الرواية (السماع) وأنا أريد منك الدراية (الفهم والإحاطة)(٢).

وكان العلماء يغضبون عندما يقاطعهم أحد أثناء الدرس في حلقات العلم، ولو كان ذلك بسبب المال الذي يستخدم في الإنفاق والتمويل، ففي رواية عمر النسوي قال كنت بجامع صور عند الخطيب البغدادي، فدخل عليه بعض العلوية، وفي كمه دنانير، وقال له فلان يقول هذا تصرف في بعض مهماتك، فغضب الخطيب ونفض الدنانير على الأرض وخرج من المسجد(٣).

ومما سبق نلاحظ أن بعض العلماء كان يعلم غيره من طلاب العلم بدون مقابل أي لا يأخذ أجرة على التعليم، بل يعلم حسبة لوجه الله تعالى، ويبتغي الأمر من الله.

---

(١)ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٣٢، ٣٣، وتذكر الحفاظ ٣ / ٣١٢.
(٢) معجم الأدباء ١ / ٥٠٦، الوافي بالوفيات ٦ / ٨٥، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٥ / ٨٧.
(٣) ابن الجوزي، مرجع سابق ٨ / ٢٦٩.

- المسجد المعلق:

من مساجد دمشق قام بدور تربوي تعليمي، في تنشئة الطلاب علميا، ففي ترجمة ياقوت (لأبي محمد جعفر بن أحمد السراج الملقب بالقارئ ت ٥٠٠ هـ قال: رحل أبو محمد إلى مكة والشام ومصر، وفي رواية الحسن بن المتوكل قال: دخل الشيخ أبو سعد الوعاظ، إلى المسجد المعلق وكان فيه الشيخ أبو محمد السراج، فالتقاه الشيخ أبو بكر بالرحب والسعة وتعانقا، وجلسا يتذاكران في كل علم من العلوم(١).

كما أن طالب العلم الذي يتأخر على حضور حلقات العلماء كانت تناله الندامة ففي رواية أبو الكرم الشهرزوري قال: كنت أقرأ على أبي محمد السراج فانقطعت عنه مدة، ثم ندمت وقلت: يفوتني منه بانقطاعي فوائد كثيرة، فقصدته في مسجده المعلق، حتى أحصل منه علومه(٢).

ومن المساجد التي قامت بدور تعليمي تربوي في القرن السادس الهجري:

- المسجد الجامع ببخارى:

كان ذلك المسجد من المساجد التي قامت بدور تعليمي في قرية مزنة ببخارى ومن العلماء الذين درسوا به عن طريق الوعاظ:

أبو الحسن علي بن عراق الصناري ت ٥٣٩ هـ الذي كان يعلم غير، بداخل المسجد الجامع بمزنة، ،عليه تفقه الكثير من طلاب العلم، عن طريق الوعاظ، فحفظوا عنه الشعر والعربية والقراءات(٣).

- مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالموصل:

كان من المساجد التي تعلم بها الكثير من طلاب العلم، عن طريق حلقات العلماء ومن هؤلاء العلماء:

---

(١) معجم الأدباء ٢ / ٣٧٤، بغية الوعاة ص ٢١١. الزركلي، مرجع سابق ٢ / ١٢١.
(٢) ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ١١٢، بغية الوعاة ص ٣٤٣٤
(٣) معجم الأدباء ٤ / ١٨٥، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٣١٢.

أبو الحسن علي بن خليفة المعروف بابن المتقي ت ٥٦٢ هـ الذي كان يجلس في ذلك المسجد، فتأدب عليه أكثر أهل عصره، من أهل الموصل، وقد ذكره النعيمي بعدة مسميات، وذكر موقعه، وكيف تم بناؤه(١).

- جامع القصر ببغداد:

كان من المساجد التي قامت بدور تعليمي في ذلك القرن، وقد عقدت بداخله حلقات لبعض العلماء، ومن أصحاب الحلقات به: أبي محمد إسماعيل بن موهوب الملقب بالجواليقي ت ٥٧٥ هـ الذي قربه المقتفي لأمر الله العباسي، يقرأ عليه شيئا من الكتب وانتفع به، وقد اهتم الجواليقي أيضا بتعليم أهل بغداد عن طريق حلقة له بجامع القصر، كان يقرأ فيها الأدب على أهل بغداد كل جمعة(٢).

ومنه نلاحظ أن الجواليقي اهتم بالتعليم الخاص الذي يتمثل في تعليم الأمراء والوزراء، وأبناءهم، والتعليم العام الذي يتمثل في تعليم أهل بغداد بصفة عامة، وكان يخصص لكل منهما وقت.

ومن حلقات العلماء التي ظهرت من خلال المساجد في ذلك القرن حلقة أحمد بن محمد الميداني ت ٥١٦ هـ، ففي ترجمة ياقوت (لأبي الحسن علي بن زيد البيهقي ت ٥٦٥ قال البيهقي: حضرت الدرس عن الميداني بحلقته وصححت عليه كتاب السامي في الأسامي من تصنيفه، وكتاب المصادر وكتاب المنتحل، وكتاب غريب الحديث لأبي عبيد وكتاب صحاح اللغة للجوهري. ويقول البيهقي: اختلفت أيضا إلى حلقة الإمام إبراهيم الخرزي المتكلم أقتبس ثمنه نوادر علوم الكلام(٣).

(١) معجم الأدباء ٤ / ١١١، بغية الوعاة ص ٣٣٧، النعيمي، مرجع سابق ٢ / ٣٤٥.
(٢) معجم الأدباء ٢ / ٣١٣، معجم المؤلفين ١٣ / ٥٣، ابن خلكان، مرجع سابق ٢ / ١٨٧، تذكرة الحفاظ ٤ / ٧٨، الكامل في التاريخ ١١ / ٤٠، ابن العماد، مرجع سابق ٤ / ١٢٧.
(٣) معجم الأدباء ٤ / ١١٤، معجم المؤلفين ٧ / ٩٦، وسير النبلاء ٢ / ٢٨٥، الوافي بالوفيات ١٢ / ٧٠، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٢٩٠.

وقد استمرت حلقات العلماء بجامع عمرو بن العاص من القرن الخامس الهجري إلى القرن السادس الهجري ومن هذه الحلقات التي أوردها ياقوت في كتابه معجم الأدباء حلقة:

١- أبو محمد عبد الله بن بري بن عبد الجبار المعروف بابن بري ت ٥٨٢ هـ الذي اتخذ من جامع عمرو بن العاص مؤسسة تربوية يعلم من خلالها فقد تصدر للإقراء بجامع عمرو بن العاص، وكان طلابه متميزين بين غيرهم ممن استفادوا من غيره، ومع ذلك لم يترك ابن بري التصيف، فله من الكتب كتاب الرد على ابن الخشاب، ذكر الزركلي أنه مطبوع انتصر فيه للحريري، وكتاب غلط الضعفاء من الفقهاء، قال الزركلي أنه مطبوع، وكتاب شرح شواهد الإيضاح في النحو، وله حواش على صحاح الجوهري، ذكر الزركلي أن كلاهما مخطوط(١).

ومن العلماء أصحاب الحلقات بجامع عمرو بن العاص في القرن السادس الهجري:

١- أبو الخير سلامة بن عبد الباقي الملقب بالضرير ت ٥٩٠ هـ بمصر، الذي رحل إلى مصر وسكن بها و تصدر بجامع عمرو بن العاص يقرأ القرآن والنحو على أهلها(٢).

ومن مساجد مصر التي قامت بدور تربوي تعليمي في ذلك القرن:

- مسجد الآبي بقرية بهنسا:

الذي عقدت به حلقات العلماء، ومن هؤلاء العلماء (أبو العباس أحمد بن محمد الآبي ت ٥٩٨ هـ الذي أقام حلقة بمسجده يعلم فيها طلاب العلم، من أجل رزقه(٣) (أي أن التعليم كان مقابل أجرة يحصل عليها من هؤلاء المتعلمين).

---

(١) معجم الأدباء ٣ / ٤٤٨، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٢٦٨، بغية الوعاة ص ٢٧٨، خزانة الأدب ٢ / ٥٢٩، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٧٣.

(٢) معجم الأدباء ٣ / ٣٨٦، نكت الهميان

(٣) آبه: قرية من قرى البهنسا بمصر، معجم البلدان ١ / ٥٣، معجم الأدباء ٢ / ٣١

- مسجد ابن الحاج بقنا:

يعتبر هذا المسجد من المساجد التي لعبت دورا حيويا في إحياء العلوم الدينية والعقلية عن طريق حلقات العلماء، التي كانت تعقد بداخله، ففي ترجمة ياقوت الحموي (لابن حيدرة شيث بن إبراهيم الملقب بضياء الدين والمعروف بابن الحاج القناوي ت ٥٩٨ هـ الذي مفيدا للناس في مسجد له بمحلة مفردة له ولأهله، تعرف بحارة ابن الحاج يجلس في مسجده يحدث ويدرس، ولذلك كان الملوك يعظمونه ويجلون قدره، لغزارة علمه(١).

- مسجد بني أمية بدمشق:

قام هذا المسجد بدور تعليمي تربوي، في القرن السادس الهجري، عن طريق حلقات العلماء، التي عقدت بداخله، ومن هؤلاء العلماء:

- أبو اليمن زيد بن الحسن الملقب بذي رعين ت ٥٩٧ هـ الذي سافر إلى حلب سنة ٥٦٣ هـ وسكن دمشق، وتقدم بها، وتصدر التعليم وازدحم عليه الطلاب في حلقته بمسجد بني أمية، وكان يدرسهم الفقه على مذهب الحنابلة ثم انتقل إلى مذهب الحنفية، فتوغل فيه وأفتى به، وكانت له خزانة (مكتبة) كتب جليلة في جامع بني أمية، يعلم منها(٢).

وقد كانت تعقد لذي رعين حلقات التعليم الخاص بمصر، فقد تتلمذ له من طلاب العلم فرح شاه ابن أخي صلاح الدين، وابنه الملك الأمجد صاحب بعلبك، وكان الملك المعظم عيسى يقرأ عليه دائما كتاب سيبويه متنا وشرحا، وكتاب الإيضاح وكتاب الحماسة(٣)

(١) معجم الأدباء ٣ / ٤١١، معجم المؤلفين ٤ / ٣١١، إنباه الرواة ٢ / ٧٣، الأدفوي، مرجع سابق ص ١٣٧، حسن المحاضرة ١ / ٢٥٨.
(٢) معجم الأدباء ٣ / ٣٥٥، إنباه الرواة ٢ / ١٠، خزانة الأدب ١ / ٥١٦.
(٣) الزركلي، مرجع سابق ٣ / ٥٧، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ١٥٦.

وقد ذكر النعيمي في كتابه (الدارس في تاريخ المدارس) عدد من حلقات التعليم التي أقيمت بهذا المسجد، وقد زادها عن ياقوت لأن تواريخ الوفاة لعلماء هذه الحلقات متأخرة عن تاريخ وفاة ياقوت الحموي(١).

- جامع البصرة:

من المساجد التي قامت بدور تربوي في تعليم فقد تعلم بداخله من طلاب العلم:

- أبو الحسن علي بن الحسن العبدري المعروف بابن مقلة ت ٥٩٩ هـ بالبصرة، الذي تعلم في حلقات (أبي إسحاق إبراهيم بن عطية الشافعي، بجامع البصرة، عن طريق السماع منه، ومع نبوغ العبدري خرج لنفسه فوائد في عدة أجزاء عن شيوخه، ثم جلس بجامع البصرة، فحدث بها، وأقرأ الناس الأدب(٢).

ومنه نلاحظ أن طالب العلم كان إذا تمكن من العلم الذي تعلمه عن شيخه يجلس في مجلس آخر ليحدث الناس بما تعلمه.

ومن المساجد التي قامت بدور تربوي تعليمي في القرن السابع الهجري:

- مسجد الخضر بمصر:

الذي أقيمت به حلقات لبعض العلماء، لتعليم الطلاب، فقد ذكر ياقوت من بين هؤلاء العلماء:

- أبو الحسن علي بن الحسن الملقب بشميم الحلي ت ٦٠١ هـ الذي كان يجلس في حجرة من المسجد وبين يديه جامدان مملوءان كتبا يعلم منها(٣) (كل طالب حسب ما يرغب في تعلمه).

---

(١) النعيمي، مرجع سابق ٢ / ٣٧١ - ٤١١.
(٢) معجم الأدباء ٤ / ٤٧، معجم المؤلفين ٧ / ٦٠، إنباه الرواة ٢ / ٢٤٢، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٢٧٤.
(٣) معجم الأدباء ٤ / ٢٨، معجم المؤلفين ٣ / ٢٥٧، سير أعلام النبلاء ١٣ / ٩٤.

- مسجد القرافة بمصر:

الذي اتخذه العلماء كمؤسسة تربوية لتعليم الطلاب، وقد زاره الباحث أثناء دراسته بجامعة الأزهر، وقد رأيت الكثير من كتب العلماء المخطوطة به، والتي يرجع بعضها إلى القرن الرابع والخامس الهجريين، وقد ذكر ياقوت من بين أصحاب الحلقات بهذا المسجد:

- أبو الحسن علي بن محمد السخاوي ت ٦٤٣ هـ الذي اشتغل بالفقه على مذهب مالك بمصر، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي، وقد سكن مسجد القرافة، ملازما للشيخ أبا القاسم الشاطبي، وقد قرأ عليه القرآن بالروايات، وتلقن منه قصيدته المشهورة في القراءات، وكان السخاوي مهتما بتعليم أولاد الأمير بن موسك(١).

وقد انتقل إلى دمشق وصار له حلقة بجامع دمشق، يتردد إليه طلاب العلم للتأدب عليه، ومع ذلك لم يترك التصنيف، فقد صنف الكثير من الكتب والتي منها كتاب " جمال القراء وكمال الإقراء " ذكر الزركلي أنه مخطوط في التجويد، وكتاب " هدية المرتاب " مطبوع يقع في منظومة شعرية في متشابه كلمات القرآن الكريم مرتبة على حروف المعجم وكتاب " المفضل " شرح فيه كتاب الزمخشري، وهو مخطوط يقع في أربعة أجزاء منه نسخة كتبت سنة ٦٣٢ هـ عليها إجازات بخط المؤلف مؤرخة سنة ٦٣٨ هـ في دار الكتب تصويرا عن أحمد الثالث برقم ٢١٥٨ كما في المخطوطات المصورة (١: ٣٩٧) وكتاب " شرح الشاطبية " وهو أول من شرحها، وكان سبب شهرتها وهو مخطوط، وكتاب " الكوكب الوقاد " قال الزركلي إنه مخطوط في أصول الدين، وكتاب " القصائد السبع " مخطوط، وكتاب منير الدياجي في شرح الأحاجي للزمخشري، يقول الزركلي: رأيته في خزانة محمد سرور الصبان بجدة، وعلى النسخة خط صاحب الترجمة(٢).

---

(١) سخا: قرية من قرى مصر، معجم الأدباء ٤ / ٣٢١، معجم المؤلفين ٧ / ٢٠٩، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٣٤٥، خزانة الأدب ٢ / ٥٢٩.

(٢) السبكي، مرجع سابق ٥ / ١٢٦، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٣٣٢.

ومنه نلاحظ أن العلماء الذين عقدت لهم حلقات التعليم بالمساجد، لم يتركوا التصنيف والتأليف للكتب، وإنما جمعوا بين التعليم لطلاب العلم، وبين تأليف الكتب.

وكان علماء القرن السادس والسابع الهجريين، يترددون بين المساجد لعقد حلقات التعليم، فقد ذكر ياقوت الحموي في ترجمة (أبي الحسن علي بن زيد البيهقي ت ٥٦٥ هـ أنه كان يتردد بين المساجد لحضور حلقات تعليم الطلاب ونقل العلوم إلى المتعلمين حيث يقول: خرجت إلى نيسابور فأكرمني أكابرها، فكنت أعقد المجلس بجامع نيسابور القديم يوم الجمعة، ويوم الأربعاء تعقد حلقتي في مسجد المربع، ويوم الاثنين في مسجد الحاج وكانت تفد علي وفود المتعلمين في كل حلقة منهم(١).

والخلاصة:

التي نخرج بها من خلال عرض ياقوت الحموي لحلقات العلماء والمساجد التي عقدت بداخلها هذه الحلقات، أن المساجد عرفت بالأماكن العامة للتعليم لأنها كانت مفتوحة للجميع على اعتبار أنها أماكن للعبادة، وأن التعليم فيها كان مباحا لمن أراد، وفي أي وقت شاء، دون قيود أو شروط مفروضة، وكان التعليم في المساجد مرتبط بالفكر الإسلامي ولذلك كان التركيز أولا على العلوم الدينية، ثم العلوم اللغوية، المساعدة، وقد عقدت حلقات التدريس في المساجد وجعلها الفقهاء والعلماء لتفقيه الناس في أمور دينهم ودنياهم، وهذا يتفق مع تعاليم الإسلام، الذي يعمل على تنظيم الحياتين (الدنيا والآخرة) وهذا ما يوضحه القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، وهنا يبدو أن التعليم الإسلامي مرتبطا بالدين والدنيا معا، وبهذا المعنى نلاحظ أن الحركة العلمية ظلت ناشطة في الدول الإسلامية فكان الصبية والناشئة يتحولون من الكتاتيب إلى المساجد، حيث حلقات العلماء من القراء والمفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين واللغويين والنحويين

(١) معجم الأدباء ٤ / ١١٦، معجم المؤلفين ٧ / ٩٦، سير أعلام النبلاء ٢ / ٢٨٤، الوافي بالوفيات ١٢ / ٦٨، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٢٩٠.

والمؤرخين، ومن يشدين بعض علوم الأوائل، فكانت المساجد في بغداد تحل محل التعليم الثانوي بل والجامعات في عصرنا الحاضر، وكذا مساجد البصرة والموصل ودمشق ومصر وغيرهم من البلدان الإسلامية، وكان الأستاذ (الشيخ) عادة يجلس إلى أحد أعمدة المسجد مستندا إليه، ومتجها إلى القبلة، وقد يجلس على مقعد عال ويجلس الطلاب من حوله على شكل دائرة، وكان الشيخ يملي على الطلاب محاضراته، وهم يكتبون وإذا تكاثروا اتخذ الشيخ مستمليا يردد كلامه، حتى تسمعه الصفوف الخلفية، وكان الشيخ أو المحاضر يعيد أحيانا ما ألفه على طلابه، مضيفا إليه بعض التصحيحات والزيادات وبها نشرة تلاميذه(١).

وكان بعض الشيوخ لا يملون مؤلفاتهم بل يشرحون بعض كتب مشهورة لطلاب العلم، وقد يعمدون إلى إملاء شروح لهم على بعض المختصرات، وقد تشرح الشروح بما يسمى حاشية، وقد توضع على الحواشي ملاحظات تسمى تقارير(٢).

كما نلاحظ أن ما شاع من أن الحركة العلمية في بغداد خمدت خمودا تاما بعد الغزو التتاري غير صحيح، فقد استعادت بغداد نشاطها العلمي منذ دخول التتار في الإسلام، وذلك عن طريق مساجدها التي من أهمها: جامع الخليفة، وجامع القصر وغيرهما من المساجد.

وربما كانت المساجد في المدن الإسلامية، أهم من المدارس في نشر العلم، فقد كانت أبوابها مفتوحة دائما لكل قاصد، وكان الناس من مختلف المهن والصناعات والحرف يختلفون إلى حلقات الشيوخ فيها ينهلون ما شاء لهم أن ينهلوا مما جعل العلم بحق شعبيا الجميع أفراد الشعب، يصيبون منه ما يوافق أمزجتهم وميولهم، فكثيرا ما كان يحدث أن يشعر صاحب مهنة أو تجارة بقصور في علم من العلوم، فإذا هو يترك مهنته أو تجارته

(١) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص ص ٢٧٦، ٢٧٧.
(٢) ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٣٢، ٣٣، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٥ / ٨٧، تذكرة الحفاظ ٣ / ٣١٢.

ويتفرغ للعلم الذي يريده حتى يصبح من أقطابه، وقد تحدث ابن خلكان، وياقوت كثيرا عن ذلك.

وقد اقتصر الباحث على إيراد المساجد التي تحدث عنها ياقوت الحموي في كتابه (معجم الأدباء)، ولم يستدرك الباحث على المساجد التي كان لها دورا تربويا وقد أغفلها ياقوت مثل الجامع الأزهر في مصر ودوره في نشر العلم، وكذلك مسجد أحمد بن طولون وغيرهما من مساجد المدن الإسلامية ذات الدور الحيوي في التعليم.

ومن المساجد التي تحدث عنها الباحث من خلال هذه الدراسة:

- مساجد المدينة وتشمل:
  ١- مسجد المدينة.
  ٢- مسجد السبيع.
- مساجد الكوفة ومنها: المسجد الجامع بالكوفة.
- مساجد بغداد وتشمل:
  ١- مسجد ابن رعيان.
  ٢- مسجد الكسائي.
  ٣- المسجد الجامع.
  ٤- جامع المعرة.
  ٥- جامع القصر.
  ٦- جامع الخليفة.
- مساجد دمشق ومنها:
  ١- مسجد أبو عبيد القاسم بن سلام.
  ٢- مسجد بني علان.
  ٣- مسجد أبو بكر هشام بن معاوية الضرير.

٤- مسجد الطبري.

٥- جامع بني أمية.

٦- جامع المنصور.

٧- المسجد المعلق.

٨- مسجد بني أمية.

- مساجد البصرة ومنها: جامع البصرة.

- مساجد نيسابور ومنها:

١- الجامع القديم.

٢- الجامع المنيعي.

- مساجد مصر ومنها:

١- جامع المقياس.

٢- جامع عمرو بن العاص.

٣- مسجد الآبي بقرية البهنسا.

٤- مسجد ابن الحاج بقنا.

٥- مسجد الخضر.

٦- مسجد القرافة.

- مسجد الجامع بالأندلس.

- المسجد الجامع بواسط.

الجامع الكبير بأصبهان.

- المسجد الجامع ببخارى.

- مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالموصل.

ومن خلال الحلقات التي عقدت بهذه المساجد لاحظنا أن أكثر حلقات العلم إزدحاما وطلابا كانت حلقات الفقهاء والمحدثين، ونلاحظ أن بعض العلماء كانوا يحصلون على أجرة مقابل تعليم الطلاب، وكان البعض من العلماء يأبى أن يأخذ أجرة على التعليم فكانوا يعملون حسبة.

ثانيا: الكتاب (الكتاتيب)

كان التعليم السائد في الكتاتيب تعليما دينيا للصغار، بدور كله حول القرآن الكريم وما يتصل به مضافا إليه قليل من الحساب، وقد ساعد ذلك أن الحركة العلمية ظلت ناشطة خلال القرون الهجرية التي أرخ لها ياقوت، وذلك قبل الغزو التتاري، وبعد دخولهم في الإسلام فقد " كان الكتاب للصبية يتعلمون فيها القراءة وشيئا من الحساب وكان الصبي لا يبلغ التاسعة إلا وقد حفظ القرآن،واستظهر حفظه، وكان الصبي يحفظ بعض مقامات بديع الزمان الهمذاني،والتي حلت محلها منذ أوائل القرن الخامس الهجري مقامات الحريري، وكان يستظهر أيضا بعض قصائد الشعراء المشهورين، وخاصة أبي تمام والبحتري والمتنبي، وكان الناشئة يتحولون من الكتاتيب إلى المساجد حيث حلقات العلماء من القراء والمفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين واللغويين والنحويين والمؤرخين ومن يشدون بعض علوم الأوائل[1]، وإن كان منهج الكتاب يختلف من قطر إلى آخر من الأقطار الإسلامية، ومما لا شك فيه فإن الكتاتيب قامت بدور تربوي تعليمي في تلك القرون الهجرية التي أرخ لها ياقوت.

ففي القرن الأول الهجري والقرن الثاني قامت الكتاتيب بدور تربوي في تعليم الأطفال، ومن العلماء الذين عملوا في تلك الكتاتيب:

(١) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي ص ٢٧٦.

- أبو القاسم الضحاك بن مزاحم البلخي المفسر ت ١٠٥ هـ الذي كان يعلم الصبيان من خلال الكتاتيب، فقد كان أبو القاسم البلخي يعلم (يؤدب) الصبيان فقد كان في مكتبه ثلاثة آلاف صبي، وكان يطوف عليهم وهو على حمار(١).

ومنه نلاحظ أنا لطلاب كانوا يتزاحمون على الكتاتيب للاقتباس من العلماء وترك الجهل والأمية. ومن الطلاب الذين أصبحوا علماء في الكثير من أنواع العلوم عن طريق الكتاتيب:

- أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ت ٢٠٤ هـ الذي تعلم في الكتاتيب عن طريق الحفظ، ففي رواية يحيى بن زكريا النيسابوري عن الربيع قال: سمعت الشافعي يقول: كنت وأنا في الكتاتيب، أسمع المعلم يلقن الصبي الآية فأحفظها(٢).

وفي القرن الثالث الهجري كان لأبي جعفر محمد بن حبيب ت ٢٤٥ هـ كتاب تعلم فيه ولد العباس بن محمد(٣).

وفي القرن الرابع الهجري لم يكن التعليم في الكتاب قاصرا على تعليم الصبية بل كان يضم إليهم بعض العامة حيث أورد ياقوت فكتابه " معجم الأدباء " في ترجمة أبي الطيب محمد بن أحمد الملقب بالوشاء ت ٣٢٥ هـ أنه كان من أهل الأدب والعلم ويعلم غيره من العامة ففي رواية ابن النديم قال: كان أبو الطيب نحويا معلما لمكتب العامة وكان يعرف بينهم بابن الأعراب(٤).

---

(١) معجم الأدباء ٣ / ٤٢٦، معجم المؤلفين ٥ / ٢٧، العبر ١ / ١٢٤، تهذيب التهذيب ٤ / ٤٥٣، الزركلي ٣ / ٢١٥، سير أعلام النبلاء ٧ / ١٦٥، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٢ / ١٧٧.

(٢) معجم الأدباء ٥ / ١٩١، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٥٦٥، سير أعلام النبلاء ٧ / ١٦٥، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٢ /١٧٧.

(٣) معجم الأدباء ٥ / ٢٨٦، معجم المؤلفين ٩ / ١٧٤.

(٤) معجم الأدباء ٥ / ٨٩، معجم المؤلفين ٩ / ٤٤، الخطيب البغدادي، مرجع سابق ١ / ٢٥٣.

ومن علماء القرن السادس الذين تعلموا في الكتاب:

- أبو الحسن علي بن زيد الملقب بالبيهقي ت ٥٦٥ هـ الذي تعلم من خلال تردده على الكتاتيب حيث يقول: أسلمني أبي ببلدة السابزوار إلى الكتاب ثم خرجت معه إلى ناحية ضياع له فحفظت في الصبا الكثير، ثم حضرت في عام ٥١٤ هـ إلى كتاب أبي جعفر المقرئ إمام الجامع القديم، وحفظت فكتابه كتاب تاج المصادر ن تصنيفه(١)

ومنه نلاحظ أن الكتاتيب كان لها دور تربوي بارز في تعليم في الصبيان، وكان العلماء يهتمون بالطرق التربوية السائدة آنذاك، وهي طرق تقليدية، فكان شيخ الكتاب يهتم بتحفيظ الصبيان واستظهارهم لما حفظوه من كتب الشيخ أو غيره من العلماء.

والخلاصة:

من خلال العرض السابق الذي أورده ياقوت فكتابه " معجم الأدباء "، لاحظنا أن الكتاتيب قامت بدور تربوي تعليمي في تعليم الصبيان سواء أكان هؤلاء الصبية من عامة أبناء المجتمع، أم أبناء طبقة خاصة من أبناء الأمراء والوزراء، وهو ما نطلق عليه التعليم الخاص، وفي كل كانت الكتاتيب تهتم بالعلوم الدينية من حفظ القرآن الكريم، أو كتب التفسير أو القراءات،وأحيانا كتب الحديث والأدب والشعر، وشيئا من الحساب.

وفي بعض الأحيان كان الكتاتيب لا تقتصر على تعليم الصبية فقط، بل كان يضم إليهم بعض العامة، وبالرغم من هذا الدور التربوي الذي تقدمه الكتاتيب إلا أن الباحث يرى أن هذا التعليم كان ينتج طبقة محدودة الأفق من جهة الثقافة العامة ولكنها مهذبة ومتحلية بالأخلاق الإسلامية، فترى الذي تعلم في الكتاب يعامل الناس بصدق وأمانة ويحفظ الكلمة التي يرتبط بها.

(١) معجم الأدباء ٤ / ١١٤، الوافي بالوفيات ١٢ / ٦٩، سير أعلام النبلاء ٢ / ٢٨٥.

ثالثا: المدارس

من المؤسسات النظامية التربوية، التي قامت بدور تعليمي تجاه طلاب العلم ولم تؤسس المدارس المستقلة الخاصة بالتدريس على النحو الذي نعهده اليوم إلا في زمن متأخر جدا، فقد كانت المساجد تقوم بهذا الدور التربوي في التعليم، ويكاد، مؤرخو المسلمين يجمعون على أن أول من بنى المدارس في الإسلام نظام الملك الطوسي وزير ملك شاه السلطان السلجوقي في أواسط القرن الخامس الهجري (والمدارس التي سبقت ذلك التاريخ إنما هي مدارس نشأها بعض العلماء وعرفت بهم) وقد اقتدى السلاطين والأمراء بنظام الملك في تأسيس المدارس المجانية في أنحاء البلدان الإسلامية، فامتلأت بها دمشق وحلب وحمص وبعلبك وغيرها من بلاد الشام،وبلاد الأندلس، ثم مصر والإسكندرية فقد ضمت القاهرة عددا من المدارس التاريخية التي اهتم ولاة مصر وأمراؤها على مرجع سابق التاريخ بإنشائها وإعدادها بالمعلمين وفقهاء الدين والعلم وأوقفوا عليها الهبات والأوقاف ورتبوا لتلاميذها وأساتذتها الرواتب الشهرية والكسوة الشهرية(١).

وقد تحدث ياقوت الحموي في كتابه " معجم الأدباء " عن الكثير من هذه الأماكن التعليمية (المدارس) فذكر من بين أهم هذه المدارس في القرن الخامس الهجري:

- مدرس ابن أب يالطيب (الطيبة):

أنشئت هذه المدرسة داخل دمشق، وقد درس بها الكثير من العلماء، ذكر ياقوت من بينهم (علي بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن أبي الطيب ت ٤٥٨ هـ الذي كانت تعرف باسمه،وقد أنشأها سنة ٤١٠ هـ وأثرها باق إلى الآن، وكان له تلاميذ كثيرين يملي عليهم من حفظه، وذكر النعيمي من بين العلماء الذين دروا بها (الخطيب أبو العباس الفزاري) ودرس بها (أبي يحيى زكريا بن يوسف البجلي الشافعي) ودرس بها (تاج

(١) حسن الرزاز، عواصم مصر الإسلامية، (مطبوعات دار الشعب، د. ت) ص ص ٢٧٩ - ٢٨١.

الدين أحمد بن القاضي بن الشهيد) ومن طلابها (أبو القاسم علي بن محمد بن الحسين)[١].

- المدرسة البيهقية:

كانت من بين المدارس التي أنشئت في ذلك القرن، ومن العلماء الذين درسوا بها أبي صالح أحمد بن عبد الله الملقب بالمؤذن النيسابوري ت ٤٧٠ هـ الذي كان يعلم بهذه المدرسة سنين احتسابا (بدون أجر) [٢].

- المدرسة النظامية ببغداد:

أسسها الوزير نظام الملك مدبر الحكم في زمن ألب أرسلان السلجوقي، ويعتبر هذا الوزير هو المصلح الكبير الذي عني بإنشاء هذه المدرسة ببغداد وطائفة أخرى من المدارس في مختلف البلدان الإسلامية، بهدف محاربة الطائفة الإسماعيلية،ونشر المذهب الشافعي في الفقه، ومذهب الأشعري في علم الكلام، وقد بنى هذه المدرسة في العراق على شاطئ دجلة سنة ٤٥٧ هـ ورتب فيها العلماء لدراسة العلوم الدينية واللسانية، ووقف عليها أوقافا كثيرة وبنى فيها مساكن للأساتذة، وجعل لهم رواتب ثابتة، كما جعل لطلابها نفقات معيشية وألحق بها مكتبات نفيسة، وكان فيها أساتذة مختلفون يحاضرون في علوم الحديث والتفسير واللغة والرياضيات والأدب، وقد تخرج منها جماعة من فحول العلماء[٣].

وقد ذكر ياقوت من علماء هذه المدرسة الذين درسوا بها الكثير من أنواع العلم:

- أبو عبدالله سليمان بن عبد الله الملقب بالحلواني ت ٤٧٥ هـ الذي درس بالنظامية علم الحديث وقرأ عليه تلاميذه النحو واللغة[٤]. ومن أساتذة هذه المدرسة:

---

(١) معجم الأدباء ١ / ٤٦٣، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٣٠٤، النعيمي، مرجع سابق ١ / ٣٣٧.، سير أعلام النبلاء ١١ / ٢٤٣، السبكي، مرجع سابق ٢ / ١٥٥، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٥ / ١٠٦ معجم الأدباء ١ / ٤٦٣،

(٢) معجم الأدباء ١ / ٤٦٣، سير أعلام النبلاء ١١ / ٢٤٣، السبكي، مرجع سابق ٢ / ١٥٥، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٥ / ١٠٦

(٣) مصطفى أمين، مرجع سابق ص ١٧٢، السبكي، مرجع سابق ٤ / ٣١٣.

(٤) معجم الأدباء ٣ / ٣٩٦، معجم المؤلفين ٤ / ٢٣٩، إنباه الرواة ٣ / ٢٦، الوافي بالوفيات ١٣ / ١٠٦، ابن العماد، مرجع سابق ٣ / ٣٩٩.

أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الغزّالي ت ٥٠٥ هـ الذي كان شيخا يشار إليه بالبنان، وأكب الطلاب على دروسه، وأخذت شهرته تطبق الآفاق، فعينه نظام الملك أستاذا للفقه الشافعي في النظامية، وقد جمع بين التدريس والتصنيف فله كتاب إحياء علوم الدين مطبوع في أربعة أجزاء ، وكتاب التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مطبوع، وقد ترجم من الفارسية إلى العربية(١).

ومن هؤلاء الأساتذة نذكرهم على سبيل الحصر دون الإيضاح :

- محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الصباغ ت ٤٧٧ هـ، وعبد الرحمن بن محمد النيسابوري المعروف بالمتولي ت ٤٧٨ هـ، وعلي بن زيد الدبوسي ت ٤٨٢ هـ وأبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي ت ٤٩٦ هـ، ويحيى بن علي المعروف بالخطيب التبريزي ت ٥٠٢ هـ، وعلي بن محمد الطبري ت ٥٠٤ هـ، ومحمد بن أحمد القفال الشاشي ت ٥٠٨ هـ، وعلي بن محمد الأسترباذي ت ٥١٦ هـ، وأحمد بن علي المعروف بابن البرهان ت ٥٢٠ هـ، وأبو الفتوح أحمد بن محمد الغزالي ت ٥٣٠ هـ، وأبو سعيد المروزي ت ٥٢٧هـ(٢)، ويوسف بن أيوب الهمذاني ت ٥٣٥ هـ، وموهوب بن أحمد الجواليقي ت ٥٣٩ هـ، وسعيد بن محمد البغدادي المعروف بالرزاز ت ٥٣٩ هـ، ومحمد بن عبد اللطيف الواعظ ت ٥٥٢ هـ، وعبد القاهر بن عبد الله السهروردي ت ٥٦٣ هـ، والمبارك بن المبارك الكرخي ت ٥٨٥ هـ، وأسعد بن نصر النحوي ت ٥٨٩ هـ، ومحمود بن المبارك الواسطي ت ٥٩٢ هـ، ويحيى بن الربيع العمري الواسطي ت ٦٠٦ هـ، وأبو العباس أحمد بن هبة الله المخزومي ت ٦١١ (٣)هـ كان من فقهاء المدرسة النظامية، وله يد في العربية والنحو، وذو خاطر وقاد(٤).

---

(١) معجم المؤلفين ١١ / ٢٩٦، السبكي، مرجع سابق ٤ / ١٠١، اللباب ٢ / ١٧٠، الزركلي، مرجع سابق ٧ / ٢٢ جورجي زيدان، مرجع سابق ٣ / ٩٧.

(٢) معجم الأدباء ٥ / ٤١ - ٤٦.

(٣) جولة في ربوع التربية والتعليم، ص ١٢٨، معجم الأدباء ٥ / ٤٢٠.

(٤) معجم الأدباء ٢ / ٤٦، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٤٤٤.

ومنه نلاحظ أن ياقوت حرص على ذكر صفات العلماء عامة وأساتذة المدرسة النظامية خاصة، ومن هذه الصفات خلو الذهن من الأفكار والمشاغل التي تعوق دور العقل في القيام بمهامه العلمية،وقد ذاع صيت العلماء في كافة أنحاء الأمة الإسلامية بمثل هذه الصفات، مما جعل الطلاب يقصدونهم منكل فج عميق، ويقطعون إليهم المسافات ويطوين البيد أشهر من أجل الالتحاق بمثل هذه المدرسة للاستفادة من علم علمائها والتخلق بأخلاقهم.

ومن أساتذة هذه المدرسة أيضا:

- أبو بكر المبارك بن المبارك الدهان الملقب بالوجيه ت ٦١٢ هـ الذي تولى تدريس النحو بالمدرسة النظامية سنين، فقد كان يخصص لكل مادة أستاذ، وكان الوجيه يحسن التركية والفارسية والحبشية والزنجية بما يتشابه مع ترجمان العصر الحديث.
- يحيى بن القاسم التكريتي ت ٦١٦ هـ. ومحمد بن يحيى بن فضلان ت ٦٣١ هـ(١).

- تلاميذ المدرسة النظامية ببغداد:

لعبت المدرسة النظامية ببغداد دورا حيويا منذ تم إنشاؤها، ومنذ فتحت أبوابها لتلقي طلاب العلم، وقد تخرج فيها الكثير من مشاهير العلماء والأدباء الذين جاء في سيرهم أنهم تعلموا في النظامية، وقد أثروا الفكر العربي بالكثير من أمهات الكتب التي تعد مراجع لكل طالب وباحث يغترف من معينها ويتزود من أفكارها، بما يساعد على إبراز جيل جديد من العلماء والمفكرين، يحذون حذو شيوخهم وعلمائهم في سلسلة متشابكة الدوائر والحلقات.

ومن هؤلاء الطلاب الذين تعلموا بالمدرسة النظامية ببغداد:

- إبراهيم بن يحيى الغزي الشاعر ت ٥٢٣ هـ، وأبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر ت ٥٧١ هـ الذي دخل بغداد وسمع الدرس بالنظامية، مدة مقامه ببغداد وقد

(١) معجم الأدباء ٥ / ٤١، بغية الوعاة ص ٣٥٨، نكت الهميان ص ٢٣٣، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٤٤٤.

علق (استوضح وشرح) مسائل الخلاف على الشيخ (أبي سعيد إسماعيل بن أبي صالح الكرماني) وانتفع بصحبة جده الفضل في النحو واللغة، وقد ذكر ياقوت أن ابن عساكر لم يقتصر في تعلمه على الرجال فقط بل شاركهم النساء في ذلك حيث يقول أنه أخذ عن بضع وثمانين امرأة، ولم يترك ابن عساكر التأليف فقد صنف كتاب تاريخ مدينة دمشق مطبوع في ثمانين جزءا واختصره الشيخ (عبد القادر زيدان) بحذف الأسانيد المكررة وسماه تهذيب تاريخ ابن عساكر، ولا تزال بقية التهذيب مخطوطة وله كتاب الإشراف على معرفة الأطراف ذكر الزركلي أنه مخطوط في الحديث يقع في ثلاثة مجلدات(١).

ومن هؤلاء الطلاب:

- أبو البركات،كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري ت ٥٧٦ هـ(٢).
- عماد الدين محمد بن محمد الأصفهاني المعروف بابن العماد الكاتب ت ٥٩٧ الذي وفد إلى بغداد حدثا، فتأدب وتفقه بالمدرسة النظامية، على أسعد المهيني وأبي منصور الرزاز، وأبي منصور بن خيرون، وأبي القاسم بن الصباغ، وقد رجع إلى أصبهان وبرع في العلوم، فسمع بها وقرأ الخلاف على أبي المعالي الوركاني(٣).

- المدرسة العمادية:

التي فوض التدريس بها إلى العماد الأصفهاني، ببغداد، وقال ابن خلكان:

لم ينزل العماد على مكانته إلى أن توفي الملك صلاح الدين، فاختلت أحواله، فلزم بيته وأقبل على التدريس والتصنيف، ومن مؤلفاته كتاب خريدة القصر مطبوع في

(١) معجم الأدباء ٤ / ٤١، معجم المؤلفين ٧ / ٦٩، تذكرة الحفاظ ٤ / ١١٨، السبكي، مرجع سابق ٤ / ٢٧١، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٢٧٣.
(٢) ابن خلكان، مرجع سابق ٣ / ٣٠٩.
(٣) معجم الأدباء ٥ / ٤٢٠، معجم المؤلفين ١١ / ٢٠٤، جورجي زيدان، مرجع سابق ٣ / ٦١.

مجلدات، وكتاب البرق الشامي مخطوط يقع في سبع مجلدات في أخبار صلاح الدين وفتوحه، وكتاب السيل على الذيل في ثلاثة مجلدات في تاريخ بغداد، جعله ذيلا على ذيل ابن السمعاني، وكتاب نصرة الفترة وعصرة الفطرة في أخبار الدولة السلجوقية، اختصره الفتح بن علي البنداري في جزء سماه كتاب زبدة النصرة ونخبة العصرة مطبوع يعرف بتواريخ آل سلجوق وله كتاب البستان مخطوط في التاريخ(١).

- المدرسة التاجية ببغداد:

وهي المعروفة قديما بمدرسة ابن سنان، والآن تعرف بالسلارية، وقد بناها أبو الغنائم الملقب بتاج الملك سنة ٤٨٠ هـ لكي يضاهي بها المدرسة النظامية ببغداد(٢).

ومن الشيوخ الذين درسوا بها:

- أبو اليمن زيد بن الحسن الملقب بتاج الدين الكندي ت ٦١٣ هـ وكنا شيخا للحنفية والقراء والنحاة ومسند العصر، فقد فاق أهل الأرض إسنادا في القراءات، وقد ازدحم الطلبة عليه بالمدرسة التاجية، وكان حنبليا فصار حنفيا وتقدم في مذهب أبي حنيفة (رضي الله عنه) وبها أفتى ودرس وصنف وأقرأ القراءات والنحو واللغة والشعر وكان صحيح السماع، ثقة في النقل، ولم يقتصر فتعليمه على العامة فقط، وإنما اهتم بالتعليم الخاص لأبناء الأمراء فقد استملى عليه فرخشاه وابنه الملك الأمجد، ثم تردد إليه بدمشق الملك الأفضل وأخوه الملك المحسن، وقد وقف كتبه على تلميذه ياقوت، ثم على ولده من بعده، ثم على العلماء في الحديث والفقه، غير أن هذه الكتب تفرقت وبيع الكثير منها(٣).

وأخذ بعض الموسرين بهذا المنهج أي يعنون ببناء المدارس فابتنى المستوفي الخوارزمي (وكان متعصبا لأبي حنيفة) المدرسة الكبيرة بباب الطاق ببغداد، وأخذت

(١) النعيمي، مرجع سابق ١ / ٤٠٦ - ٤٠٩، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٦/ ١٧٨،الزركلي، مرجع سابق ٧ / ٢٦.
(٢) ابن تغري بردي، مرجع سابق ٥ / ١٢٥، السبكي، مرجع سابق ٤ / ٣١٣.
(٣) النعيمي، مرجع سابق ١ / ٤٨٣ - ٤٨٦.

المدارس تتكاثر في بغداد حتى زُرها (محمد بن أحمد بن جبير الكناني ت ٦١٤ هـ) في سنة ٥٨٠ و ٥٨١ هـ، فقال: إن ببغداد ثلاثين مدرسة، وما منها مدرسة إلا ويقصر الوصف البديع عنها، وأعظمها وأشهرها النظامية، ولهذه المدارس أوقاف عظيمة محبوسة تصير إلى الفقهاء المدرسين بها، وكانت المدرسة النظامية ببغداد أشبه بجامعة كبيرة، ولذلك يتوقف ياقوت وابن خلكان في وفيات الأعيان، وكذا المؤرخون ليقولوا إن هذا الشيخ أو ذاك درس في النظامية سواء في نظامية البصرة، أو نظامية الموصل، أو نظامية بلخ(١).

- المدرسة القاهرية بدمشق:

وهي المشهورة الآن بالخانقاه(٢).

- المدرسة الأتابكية بدمشق:

أنشأتها بنت نور الدين أرسلان بن أتابك(٣).

- المدرسة النورية بدمشق:

وقد بناها (نور الدين محمود) كدار للحديث، وهو أول من بنى دارا للحديث وقد توفي سنة ٥٦٩ هـ، وقد تولى مشيختها الحافظ الكبير (أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر الدمشقي الشافعي ت ٥٧١ هـ) وهو إمام أهل الحديث في زمانه وحامل لواءهم فقد أجازله عامة مشايخ خراسان الذين لقيهم، فكان محدثا فهما ثقة، حسن المعرفة شديد الورع كريم النفس، ذا أنسة لمن يقرأ عليه(٤).

- المدرسة العزية (البرانية والجوانية) بدمشق:

بناها الأمير عز الدين المعروف بصاحب صرخد، وأول من ذكر بها الدرس (شمس الدين بن فلوس) ثم من بعده (فخر الدين بن الصلاح) ثم درس بعده (شمس الدين

(١) ابن العماد، مرجع سابق ٥ / ١٢٥، الزركلي، مرجع سابق ٥ / ٣١٩، ابن خلكان، مرجع سابق ٤ / ٤.
(٢) النعيمي، مرجع سابق ١ / ٥٦٩.
(٣) المرجع السابق، ١ / ١٢٩.
(٤) معجم الأدباء ٤ / ٤١، معجم المؤلفين ٧ / ٦٩، النعيمي، مرجع سابق ١ / ٩٩ - ١٠٢.

يوسف سبط الجوزي) ثم تولاها بعده الشيخ برهان الدين محمد بن علي بن سفيان الترمذي(١).

- المدرسة البدرية بالموصل:

بانيها الأمير بدر الدين بلال، وذكر بها الدرس (شمس الدين سبط ابن الجوزي ومن بعده علي بن عبد الله بن عتيق الوزير عون الدين الحنبلي، ثم أبو المظفر الحنفي البغدادي الدمشقي وأمه رابعة بنت الشيخ جمال الدين بن الجوزي الواعظ(٢).

وقد ذكر ابن خلكان أن هذه المدارس بنيت بجوار المدرسة النظامية حتى تقوم بتعليم أهل هذه البلدان، وكانت هذه المدارس قد أقيمت بدمشق والموصل، كما بنيت مدارس كثيرة في المدن العراقية الأخرى، ذكر منها ابن خلكان في إربل ثلاثة هي: المظفرية والقلعة، والعقيلية(٣).

- المدرسة المستنصرية ببغداد:

بناها الخليفة المستنصر ببغداد، وهي من المدارس العالية التي تضاهي اليوم الجامعات وهي أكبر وأحدث من النظامية ببغداد، وكانت وقفا على أصحاب المذاهب الأربعة، بخلاف النظامية التي كانت للشافعية فقط، مما أثر في انحطاطها شيئا فشيئا حتى زال بناؤها، وكانت المستنصرية على أربعة أقسام: قسم للشافعية، وآخر للحنفية وثالث للحنابلة، ورابع للمالكية، ورتب في المستنصرية موظفون بجانب الناظر وكذا فراشين ومزين وطباخ وخزانة للديوان(٤).

وكانت تراعي في اختيار المدرس بالمستنصرية شروطا منها: الأخلاق والسمعة الحسنة والعلم الوافر والصحة في المذهب والاعتقاد، وكان لكل مدرس معيد أرقى درجة من

(١) المرجع السابق ١ / ٥٥٠ - ٥٥٤.
(٢) النعيمي، مرجع سابق ١ / ٤٧٧ - ٤٧٨.
(٣) ابن خلكان، مرجع سابق ٥ / ٣١١، ٧ / ٨٧ - ٣٣٨.
(٤) ناجي معروف، تاريخ علماء المستنصرية، الطبعة الثالثة، الجزء الأول (القاهرة: دار الشعب، ١٩٧٦) ص ٥٧.

عامة الطلبة وكانت مهمته أن يعيد الدروس بعد إلقاء المدرس المحاضر على الطلبة، وكان الطالب المجد الذي يجد فيه الأستاذ كفاءة يعين معيدا، وكثيرا من هؤلاء المعيدين رقوا إلى درجة مدرسين، وكان المدرس على كرسي عند التدريس، وكان بعض المدرسين يجمعون بين التدريس وبعض الوظائف الأخرى، غير أنهم كانوا يتخيرون من بين كبار المدرسين والشيوخ في العراق والشام ومصر وغيرها من البلاد الإسلامية، ممن حصلوا على إسناد عال أو انتهت إليهم رئاسة العلم، أو عرضوا بالبحث والتحري عن الحقائق العلمية في البلاد التي رحلوا إليها، وبما ألفوا من الكتب القيمة التي ما تزال تعد من المصادر العظيمة للثقافة الإسلامية، والدلالة على الجو العلمي الذي امتازت به المستنصرية أن بعض المدرسين كانوا ينقلون أحيانا من التدريس في المدارس الأخرى إلى الإعادة بها، وأن بعض المعيدين فيها كانوا يعينون مدرسين في غيرها من المدارس(١).

وكان الطلاب الذين يقبلون في المدرسة المستنصرية على نوعين من حيث السن: الطلبة الصغار وهم الذين يقبلون في دار القرآن الملحقة بالمدرسة المستنصرية، والنوع الثاني: هم الطلبة الكبار الذي يقبلون في أقسام الفقه والحديث والطب، وكان الطلاب ينامون في غرف خاصة بالمدرسة، دون إدماج الطلاب الصغار مع طلاب الفقه الرجال لاختلاف أمزجة الصغار عن الكبار، وتباين تفكيرهم، بالإضافة إلى عوامل نفسية وأخلاقية وتربوية تحتم فصل الصبيان عن الطلاب الكبار، وأما مواعيد الدروس فقد كانت مرتبطة بمواعيد الصلاة فهي إما أن تكون قبل أو بعد الصلاة، ومواعد دروس الحديث كانت في كل يوم سبت واثنين وخميس أي أن هذه المواعيد مرتبة ترتيبا تربويا جيدا بحيث يكون للطالب وقت للتحضير، أما طريقة التدريس، فكانت طريقة الإملاء، وبعدها يبدأ المدرس بفتح المناقشة والمناظرة، وفي بعض الأحيان كانوا يشجعون طلابهم على ابحث العلمي، أما دار القرآن فكان التعليم فيها قائما على التلقين والحفظ(٢).

(١) ناجي معروف، مرجع سابق ١ / ٦٠ - ٦٣.
(٢) جولة في ربوع التربية والتعليم، ص ص ١٣٢، ١٣٥.

وبهذا النشاط العلمي المدرسي الذي أورده ياقوت في كتابه " معجم الأدباء " ذكر أن بعض العلماء أنشئوا بعض المدارس وأطلقوا عليها أسماءهم مثل:

- مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلي بالموصل:

وقد درس بهذه المدرسة من العلماء كما أورد ياقوت (أبو الحسن علي بن عساكر الملقب بالبطائحي الضرير ت ٥٧٢ هـ، وكان يعلم بأجرة، وقد ترك من ذلك مقدار أربعمائة دينار ودار(١).

وقد شاركت مصر هذا التطور التعليمي في القرن السادس الهجري من خلال المدارس:

- المدرسة الكاملية بمصر:

وقد أطلق عليها النعيمي في كتابه (الدارس في تاريخ المدارس) اسم الكمالية البرانية والجوانية، وذكر ياقوت أن هذه المدرسة أنشئت لتخدم مذهب الشافعي في مصر وقد درس بهذه المدرسة (أبو الحسن علي بن حمزة المعروف بابن بقشلان ت ٥٩٩ هـ بمصر) الذي عمر هذه المدرسة التي تقع بباب العامة لأصحاب الشافعي، وتعرف بالمدرسة الكاملية، وقد وقف عليها الأمراء الكثير من الأوقاف للمتفقهين(٢).

- مدارس المالكية بمصر:

أنشئت هذه المدارس بمصر على غرار المدارس التي أنشئت بالعراق لخدمة المذهب المالكي وقد أخذت هذه المدارس أكثر من مسمى فمنها:

- دار الحديث الفاضلية:

أنشأها القاضي الفاضل ت ٥٩٦ هـ.

- الزاوية المالكية:

التي وقفها السلطان الملك الناصر صلاح الدين، وقد درس بها أبي عمرو جمال الدين بن عثمان، ومن بعده أبو يعقوب جمال الدين بن يوسف الزواوي، ومن بعده برهان الدين بن علوش.

---

(١) معجم الأدباء ٤ / ١٨٤، معجم المؤلفين ٧ / ١٥٠.
(٢) معجم الأدباء ٤ / ١١١، ابن عساكر، مرجع سابق ١٢ / ١٤، النعيمي، مرجع سابق ٢ / ٢٧٥ - ٢٧٧.

- دار الحديث التنكزية:

أنشأها تنكز الملكي الناصر، وسماها دار الذهب أيضا.

- المدرسة السيفية:

أنشأها الأمير سيف الدين بكتمر والي الولاة، ودرس بها شهاب الدين داود بن سليمان الكوراني (١).

وقد أورد ياقوت من العلماء الذين علموا بالمدرسة المالكية (أبو المنصور علي بن ظافر الأزدي ت ٦١٣ هـ بمصر، الذي درس بمدرسة المالكية بمصر بعد أبيه، وصنف الكثير من الكتب فهو من الأدباء المؤرخين بالقاهرة، ومن مؤلفاته كتاب بدائع البدائة الذي أسماه حاجي خليفة ببدائع البداية وله ذيله أيضا وهو مطبوع، وكتاب الدول المنقطعة ذكر الزركلي أنه مخطوط يقع في أربعة أجزاء وهو كتاب مفيد في بابه جدا، وله ذيل المناقب النورية مخطوط، وكتاب شفاء العليل في ذم الصاحب والخليل اختصره جلال الدين السيوطي في ثلاثة كراريس سماه الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب، ذكر الزركلي أنه مطبوع في رسالة(٢).

ومن مدارس القرن السادس الهجري أيضا:

- المدرسة العصرونية بدمشق:

وقد أنشأها العلامة قاضي القضاة فقيه الشام أبو سعيد عبد الله بن محمد بن أبي عصرون التميمي الموصلي ت ٥٨٥ هـ، وذكر ياقوت من العلماء الذين درسوا بهذه المدرسة (أبو جعفر محمد بن أبي محمد الصقلي الملقب بحجة الدين ت ٥٦٥ هـ الذي أقام بدمشق بعد أن رحل من مصر، ودرس بمدرسة ابن أبي عصرون فصاد فيها قبولا فسكن بها يعلم أبنائها وأجري له راتبا من ديوانها(٣).

(١) المرجع السابق ٢ / ٨٩، ١ / ٨٩، ٢ / ٤٠٣، ١ / ١٢٣، ١ / ٢٧٥.
(٢) معجم الأدباء ٤ / ١٣٥، معجم المؤلفين ٧ / ١١٣، جورجي زيدان، مرجع سابق ٣ / ٦٥، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٢٩٦، حاجي خليفة، مرجع سابق ٢٢٩، ١٠٥١.
(٣) معجم الأدباء ٥ / ٤٤٢، معجم المؤلفين ١٠ / ٢٤١، سير أعلام النبلاء ١٢ / ٢٧٠.

ومنه نلاحظ أن العلماء رحلوا متنقلين بين البلدان لتحصيل الكثير من العلوم وبحثا عن المال عند إقامتهم أحيانا لتعليم أبناء هذه البلدان.

وقد جمع ابن المظفر بين تعليم الطلاب وتصنيف الكتب فله كتاب ينبوع الحياة في تفسير القرآن ويقع الكتاب في مجلدات، وكتاب سلوان المطاع في عدوان الاتباع صنفه بعض القادة بصقلية سنة ٥٥٤ هـ، ثم ذيله في كراستين، وكتاب القواعد والبيان في النحو وكتاب أوهام الخواص، ذكر الزركلي أنه مطبوع(١).

- المدرسة البيهقية (البيهقي) بخراسان:

أنشأها بعض أمراء خراسان، وذكر ياقوت من علمائها (أبو إبراهيم أسعد بن مسعود العتبي، ولد سنة ٤٠٤ هـ الذي كان يعلم بهذه المدرسة أولاد المنعمين وهو ما يشبه اليوم المدارس الخاصة لتعليم فئة خاصة من طلاب العلم الأمر الذي قربه من الأمراء والقادة(٢).

وقد شاركت نيسابور هذه المدن في إنشاء المدارس، إن لم تكن قد سبقتها، ومن أهم هذه المدارس:

- مدرسة أبي حفص الفقيه:

وكان يدرس بها للطلاب، ابن شاهويه ت ٣٦١ هـ، وفي القرن الخامس الهجري بنيت مدرسة المحدث الكبير أبي بكر محمد بن الحسين بن فورك الأنصاري ت ٤٠٦ هـ وقد حدث بها ابن فورك لطلابه، واهتم بجانب التعليم بالكتابة والتأليف فله كتاب النظامي في أصول الدين ألفه للوزير نظام الملك، وكتاب طبقات المتكلمين، مطبوع، وكتاب أوائل الأدلة في أصول الدين الذي أملاه على طلابه دون شرح(٣).

---

(١) الزركلي، مرجع سابق ٣ / ٢٣٨.
(٢) معجم الأدباء ٢ / ١٧٧، معجم المؤلفين ٢ / ٢٤٨.
(٣) معجم المؤلفين ٩ / ٢٠٨، ابن العماد، مرجع سابق ٣ / ٨٢، الوافي بالوفيات ٢ / ٣٤٤.

- مدرسة دار السنة:

من المدارس التي أنشأت في القرن الخامس بنيسابور(١).

- المدرسة الصابونية:

وكانت بمثابة دار القرآن الكريم، وذكر ياقوت أنها نسبة إلى إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني النيسابوري ت ٤٤٩ هـ، وقد درس بها الصابوني لطلابه بعض التفاسير والقراءات(٢).

ثم بنيت أربع مدارس هي المدرسة البيهقية (خلاف مدرسة خراسان)،ومدرسة الاستراباذي ت ٤٤٠ هـ بناها لأصحاب المذهب الشافعي،والمدرسة السعدية التي بناها الأمير نصر بن سبكتكين، ومدرسة أبي إسحاق الإسفراييني(٣).

المدارس التي أنشأت بالمدن الفارسية بإيران :

حينما أصبحت إيران تابعة للدولة السلجوقية، واتخذوا الري حاضرة لهم أخذوا يعنون بالحركة العلمية، وأهم ما يصور اهتمامهم بالثقافة العربية أنهم أنشاؤا المدرسة النظامية وطلبوا من أبي المعالي عبد الملك الجويني إمام الحرمين النيسابوري ت ٤٧٨ هـ أن يدرس بها فظل يدرس بها عشرين عاما، وكان يحضر درسه أربعمائة طالب(٤).

ومن المدن التي شاركت في الحركة العلمية اليمن: فقد نشطت الحركة العلمية منذ القديم بسبب تعدد إماراتها التي كانت في تنافس مستمر فيما بينها علميا وأدبيا مما جعل كل منها تحاول جذب العلماء إلى دائرتها ومحيطها، وقد كان كثيرا من الأمراء أنفسهم علماء باليمن، وقد عرف بنو زريع أمراء عدن بإكرام العلماء والشعراء وإسباغ العطايا والجوائز عليهم، وفي عدن تم بناء الكثير من المدارس والتي منها في زبيد المدرسة الشافعية

---

(١) السبكي، مرجع سابق ٤ / ١٥٩.
(٢) معجم المؤلفين ٢ / ٢٧٥، السبكي، مرجع سابق ٣ / ١١٧، ٤ / ٣١٤.
(٣) النعيمي، مرجع سابق ١ / ٢٢١.
(٤) معجم المؤلفين ٦ / ١٨٤، الكامل في التاريخ ١٠ / ٤٩.

ومدرسة الحنفية،ومدرسة الحديث النبوي،ورتب في كل مدرسة مدرسا، ومعيدا وطلابا وإماما ومقرئا ومؤذنا، ورصد لكل مدرسة أوقافا تقوم بكفايتها وتسد حاجتها، كما بنيت مدارس بتعز وبظفار، ووقف عليها أوقافا وفيرة في زمن (بدر المظفر، وابنه السلطان الأشرف)، وقد كانا من العلماء في علوم مختلفة، وأحيانا كان العالم الذي يدرس بهذه المدارس يجمع بين دفتي عقله الكثير من العلوم ففي ترجمة (أبي بكر أحمد بن محمد الأرجائي ت ٥٤٤ هـ الذي أرسل به أهله إلى المدرسة النظامية بأصفهان،فظل بها حتى تخرج فيها فقيها شافعيا، وكان يحسن الحكم بين الخصوم والفتيا، وتفجر الشعر على لسانه، فلما تولى التدريس بمدارس تعز وظفار كان يجمع بين الكثير من العلوم في تدريسه لطلابه(١).

والخلاصة:

أن المدارس التي تحدث عنها ياقوت في كتابه " معجم الأدباء " لعبت دورا تربويا في تعليم أهل وطلاب المدن التي بنيت بداخلها، وقد أخذت هذه المدارس نظامين الأول: المدارس الفقهية، وهي التي أنشئت لتخدم مذهبا من المذاهب الفقهية الأربعة والثاني: مدارس الحديث النبوي، ودور القرآن الكريم.

وذكر ياقوت من هذه المدارس في بغداد والتي تحدث عنها الباحث:

١- المدرسة النظامية.

٢- المدرسة العمادية.

٣- المدرسة التاجية.

٤- المدرسة المستنصرية.

ومن المدارس التي بنيت بدمشق:

١- المدرسة القاهرية.

---

(١) معجم البلدان ١ / ١٤٣، شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص ٥٤، معجم المؤلفين ٢ / ٩٤، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٤٧، ابن العماد، مرجع سابق ٤ / ١٣٧، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٥ / ٢٨٥.

٢- المدرسة الأتابكية.

٣- المدرسة النورية.

٤- المدرسة العزية.

٥- المدرسة العصرونية.

ومن المدارس التي بنيت بالموصل:

١- المدرسة البدرية.

٢- مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلي.

وبنيسابور بنيت العديد من المدارس منها:

١- مدرسة أبي حفص الفقهية.

٢- مدرسة دار السنة.

٣- المدرسة الصابونية.

ومن المدارس التي بنيت بمصر:

وقد بدأ بناءها في عهد صلاح الدين الأيوبي، وعلي عهد العاضد الفاطمي نفسه، لما كان وزيرا له، ومنه المدارس:

١- مدرسة الشافعية بجوار الجامع العتيق وقد عرفت بأسماء كثيرة منها: المدرسة الناصرية والمدرسة الشريفية ومدرسة ابن زين التجارية نسبة إلى العالم الشافعي الذي طالت مدة إقامته حتى عرفت باسمه.

٢- مدرسة للمالكية عرفت باسم دار الغزل وباسم المدرسة القمحية نسبة إلى القمح الذي وقفه صلاح الدين عليها بأرض الفيوم، ثم مات العاضد الفاطمي ومضى صلاح الدين في بناء المدارس فبنى:

٣- المدرسة السيوفية وبنيت بدار الوزير الفاطمي عباس العبيدي وبجانب هذه المدارس الثلاث السابقة للشافعية والمالكية والحنفية، بنى صلاح الدين مدرستين أخريين

لفقهاء المذهب الشافعي لأن هذا المذهب علهي أكثر أفراد البيت الأيوبي، بجانب ذلك بنيت بالفسطاط والقاهرة:

٤- المدرسة الكاملية والتي أنشأها الملك الكامل ابن عادل في ٦٢١ هـ وهي ثاني دار عملت للحديث، والأولى بدمشق.

٥- المدرسة الصالحية.

٦- المدرسة الفاضلية.

٧- المدرسة الشافعية.

وبذلك يتضح من العرض السابق، أن معجم الأدباء لياقوت الحموي، يعد مصدرا من مصادر التاريخ لمؤسسة تربوية كالمدارس على مدار عدة قرون، وقد سبق ياقوت غيره ممن تحدثوا عن المدارس من خلال القرون الهجرية التي ظهرت بها هذه المدارس والعلماء الذين علموا بها، والطلاب الذين تعلموا فيها.

رابعا: منازل العلماء (مجالس العلماء):

لقد كانت منازل ومجالس العلماء بمثابة مؤسسات تعليمية غير نظامية حيث كان العلماء يقومون من خلالها بنقل المعرفة إلى المتعلمين وقد ذكر ياقوت الكثير من العلماء الذين اتخذوا من منازلهم ومجالسهم ندوات علمية يتزود الطلاب من خلالها بالكثير من أنواع العلوم المختلفة، غير أن هذه المنازل والمجالس لم يظهر دورها التعليمي بشكل واضح في القرن الأول الهجري، وذلك بسبب قيام المساجد بهذا الدور التربوي وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم قد اتخذ من المنازل والمجالس مؤسسات تعليمية يعلم من خلالها أصحابه، ومن أهم هذه المنازل دار الأرقم الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه بداخله.

وذكر ياقوت من بين هذه المجالس في القرن الثاني الهجري:

- مجلس إبراهيم الفزاري ت ١٨٨ هـ ففي رواية أبو مسهر قال: قدم علينا إبراهيم الفزاري الكوفة، فاجتمع الناس يسمعون منه فقال لي: اخرج إلى الناس، فقل لهم، من كان يرى رأي القدرية فلا يحضر مجلسنا، ومن كان يأتي السلطان فلا يحضر مجلسنا(١).

ومنه نلاحظ أن العلماء كانوا يشترطون فيمن يحضر مجالسهم شروط لا بد وأن تتوافر بهم حتى يمكنهم الاستفادة من مجالس العلماء.

- مجلس عيسى بن موسى ت ١٦٧ هـ فقد ذكر ياقوت في ترجمة أبي عبد الله القاسم بن معن الملقب بالمسعودي ت ١٨٨ هـ قال: روى حماد بن إسحاق الموصلي ت ٢٦٧ هـ قال سمعت القاسم بن معن يقول: دخلت على عيسى بن موسى حتى جلست واحتبيت (قرفصت) في مجلسه أتعلم منه قال لي: بعثت إليك لأوليك القضاء، قلت لأفعل، قال لي: إن أبيت ضربتك سبعين سوطا(٢).

ومنه نلاحظ أن العقاب بالضرب يكون ممن تصدر المجلس من العلماء والشيوخ إذا خالفهم المتعلم.

- مجلس الكسائي في منزل الرشيد:

ذكر ياقوت في ترجمة (أبي الحسن علي بن الحسن الأحمر صاحب الكسائي ت١٩٤ هـ أنه كان في صباه جنديا على باب الرشيد، وكان محبا لعلم العربية، ولا يقدر على حضور مجالس الكسائي إلا في غير نوبته، فكان إذا لم يحضر يسأل من حضر لعله يحصل منه ما ألقي في مجلس الكسائي من علم، حتى صار شيخا للنحاة في عصره، فعهد إلهي

(١) معجم الأدباء ١ / ١٣٤، معجم المؤلفين ١ / ٩٠، سير أعلام النبلاء ٦ / ٢٩٢، تهذيب التهذيب ١ / ١٥١.
(٢) معجم الأدباء ٥ / ٥، ابن خلكان، مرجع سابق ٤ / ٣٠٦، الزركلي، مرجع سابق ٢ / ٢٧١، ٥ / ١٠٩، معجم المؤلفين ٨ / ١٢٦، بغية الوعاة، ص ٣٨١.

الرشيد بتأديب أبنائه، فقد كان قوي الذاكرة يحفظ ٤٠ ألف بيت من شواهد النحو وبجانب ذلك لم يترك التأليف فله كتاب تفنن البلغاء مطبوع، وكتاب التصريف(١).

ومنه نلاحظ أن الطلاب كانوا يحرصون على حضور مجالس العلماء، محاولين التوفيق بين علمهم وبين أوقات مجالس العلم، وعند عدم استطاعتهم الحضور كانوا يسألون من حضر من زملائهم حتى يتزودوا من العلوم التي ألقاها العلماء بداخل هذه المجالس ولذلك ساهمت هذه المجالس في تخرج علماء ذاع في الآفاق صيتهم، وعلا بين الناس ذكرهم، فبادرهم الأمراء بتأديب أبنائهم.

وفي القرن الثالث الهجري كان حرص المتعلمين على التحصيل من العلماء أكثر فقد تحدث ياقوت عن ذلك في ترجمة أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ت ٢٠٤ هـ فقال: لقد اكتسب المتعلمون من معين علمه الكثير، ففي رواية عبد الواحد بن سعيد قال جاء الشافعي يعود والدي، فوثب أبي إليه فقبل بين عينيه، ثم أجلسه في مكانه وجلس بين يديه، فجعل يسائله ساعة، وهو يجيب(٢).

ومنه نلاحظ أن طلاب العلم كانوا يحرصون على اغتنام أوقاتهم، ولا يضيعون الوقت المتاح للتعليم، ولو كان ذلك الوقت بمثابة عيادة المرضى.

وبذلك اتخذ العلماء من منازلهم ومجالسهم وسائط تربوية يعلمون من خلالها طلابهم ومريديهم، فقد اتخذ أبو الحسن علي بن محمد المدائني ت ٢٢٥ هـ من ساحة منزله مؤسسة تربوية يلتقي فيها مع طلابه وأقرانه من العلماء، ففي رواية أحمد بن زهير بن حرب النسائي ت ٢٧٩ هـ قال: مرجع سابق عشية من العشيان على منزل المدائني رجل على حمار فاره (البين الفراهة أي الحسن) وبزة (الهيئة والثياب) حسنة، فنزل وسلم

(١) معجم الأدباء ٤ / ٣، الأنباري، مرجع سابق ص ١٢٥، إنباه الرواة ٢ / ٣١٣، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٢٧١.
(٢) معجم الأدباء ٥ / ٢٠٢، معجم المؤلفين ٩ / ٣٢، السبكي، مرجع سابق ٤ / ١، ٥ / ٢، تهذيب التهذيب ٩ / ٣٠، سير أعلام النبلاء ٧ / ١٦٤.

وخص بمسائله يحيى بن معين ت ٢٣٣ هـ من أئمة الحديث وقد نعته الذهبي بسيد الحفاظ(١).

ومنه نلاحظ أن المنازل التي كان ينزلها العلماء كانت تضم الكثير من العلماء في تخصصات مختلفة، فهذا الطالب لم يسأل المدائني بصفته راوية ومؤرخ له نيف ومائتا كتاب في المغازي و السيرة النبوية وأخبار النساء والجاهليين والشعراء والبلدان وإنما خص بسؤاله يحيى بن معين كونه في حاجة إلى معرفة المزيد من علم الحديث وروايته، ومعرفة رجاله.

وفي ترجمة أبي عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي ت ٢٣٠ هـ أنه اتخذ من مجلسه مؤسسة تربوية يلتقي بها طلاب العلم مع العلماء،ففي رواية ثعلب قال الأصمعي: شاهدت ابن الأعرابي وقد حضر مجلسه زهاء مائة إنسان كل يسأله أو يقرأ عليه، وهو يجيب من غير كتاب،وفي رواية محمد بن حبيب قال: سألت ابن الأعرابي في مجلس واحد عن بضع عشرة مسألة من شعر الطرماح فأجابني عنها(٢).

ومنه نلاحظ أن قدرة المعلم العلمية وتمكنه من العلوم يساعده على السيطرة على مجلس العلم، بل يمكنه من الإجابة على أسئلة طلابه وحاضري مجلسه، بثقة ودون تلجلج بل إن العلماء كانوا يقيمون الطلاب أثناء مجلس التعليم.

فقد ذكر ياقوت في ترجمة (أبي الحسن علي بن المغيرة الأثرم الأصفهاني ت٢٣٠هـ أنه كان يقوم طلابه من خلال مجلسه، ففي رواية ثعلب قال: كنت عند الأثرم وهو يملي شعر الراعي على طلابه، فلما استتم المجلس، وضع الكتاب من يده،وبدأ الأسئلة في مقدمة المجلس، ولم يترك الأصفهاني التأليف بل كتب كتاب النوادر وكتاب غريب الحديث(٣).

---

(١) الخطيب البغدادي، مرجع سابق ١٢ / ٥٤، الزركلي، مرجع سابق ٨ / ١٧٢، ٤ / ٣٢٣.
(٢) معجم الأدباء ٥ / ٣٣٧، معجم المؤلفين ١٠ / ١١، الوافي بالوفيات ٣ / ٨٠، الزركلي، مرجع سابق ٦ / ١٣١ ابن العماد، مرجع سابق ٢ / ٧٠.
(٣)معجم الأدباء١ / ٢٣٢، إنباه الرواة ٢ / ٣١٩، الزركلي، مرجع سابق ٥ / ٢٣، حاجي خليفة، مرجع سابق ١٢٠٤.

ومنه نلاحظ أن الأثرم يعطي طريقة تربوية لمعلمي الطلاب، ومن متابعة الأستاذ لطلابه عن طريق مراجعته لما سبق أن قام به في أول المجلس أو المحاضرة، حتى يتعرف على مدى تمكن الطلاب من تحصيل دروسهم.

وكانت العلوم المتعلمة في مجالس العلماء متعددة وكثيرة، فقد ذكر ياقوت في ترجمة أبي محمد إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن النديم الموصلي ت ٢٣٦ هـ قال: كان ابن النديم يحضر مجالس العلماء ليحاضر بها ولم يترك مجالا من حضر من العلماء لتفوقه في شتى فنون العلم، ففي رواية ابن عطية العطوي قال: كنت في مجلس القاضي يحيى بن أكثم، فوافى الموصلي، وأخذ يناظر أهل الكلام حتى انتصف منهم، ثم تكلم في الفقه فأحسن وقاس واحتج، وتكلم في الشعر واللغة ففاق من حضر، ثم أقبل على القاضي يحيى فقال له أعز الله القاضي أفي شيء مما ناظرت فيه نقص أو مطعن ؟ قال القاضي: لا.

ومن خلال مجالس العلماء كانت تقيم أخلاق الطلاب والمتعلمين من قبل المتعلم وقد يرفع أمر الطالب إلى ولي أمره ؛ فقد شكا ابن النديم الموصلي إلى الرشيد ابنه إبراهيم فوثب أبراهيم بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين شتمي،وذكر أمي واستخف بي، فغضب الرشيد وقال:ما تقول ويلك ؟ قلت: لا أعلم سل من حضر، فأخبره مسرور وحسين الخادم عن القصة، فذكر أن ماله ذنب شتمه فعرفك، أنه لا يقدر على جوابك، ارجع إلى موضعك فلما انقضى المجلس وانصرف الناس، أقبل الرشيد وقال يا أبا إسحاق ويحك: أتراني لا أعرف ما حدث منك ؟ قد والله: زنيته (نسبة إلى الزنا) يا جاهل لو ضربك لم أقتص منه، ولو قتلك لم أقتص منه فقال له ابن النديم : قد والله قتلني يا أمير المؤمنين(١).

ومنه نلاحظ أن التربية الأخلاقية بينا لمعلم والمتعلم كانت بمثابة درسا عمليا في التربية يطلب فيه من المتعلم ألا يتحدث بألفاظ ساقطة (سيئة) بين طلابه حتى لا

(١) معجم الأدباء ٢ / ١٣١، معجم المؤلفين ٢ / ٢٧٧، إنباه الرواة ١ / ٢١٥، الأصفهاني، مرجع سابق ٥ /٢٦٨، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٨١، الخطيب البغدادي ٦ / ٣٣٨، سير أعلام النبلاء ٨ / ٣١، ٣٢، الأصفهاني، مرجع سابق ٥ / ٤٣٥، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٢ / ٢٨٠.

يعرضه ذلك لعدم طاعته، بل وقوعه في المساءلة من خلال هذه الأخطاء، ثم يطلب منه عند اعتداء الطلاب بعدم إطاعة أمره أن يرفع أمره إلى من هو أعلى منه قائدا أم مديرا حتى يعطيه حقه، بل نجد قمة الديمقراطية الأخلاقية، فلم ينصر الرشيد الأستاذ (المعلم) على طلابه لأنه كان مخطئا.

ومن خلال مجالس العلماء ومنازلهم كان يتم تقييم شعر الشعراء فقد ذكر ياقوت في ترجمة أبي العباس محمد بن أحمد المعروف بابن العبر ت ٢٥٠ هـ أنه كان حافظا للأخبار، ويقول جحظة: لم أ أحفظ منه ولا أجود شعرا، وفي رواية أبو أحمد الهمذاني قال حدثني الشعيري قال: اجتمعت مع جماعة من الشعراء من أهل بغداد في مجلس نتناظر ونتناشد ونتساءل ونعد شعراء زماننا، فمر بنا أبو العبر فقلنا، هو أشعر منا وأعلم بالشعر(١).

ومنه نلاحظ أن العلماء كانوا يقصون أعمال غيرهم في مجالسهم ومنازلهم وهم غير حضور. وفي ترجمة أبي جعفر محمد بن عبد الله بن قادم ت ٢٥١ هـ الذي كان مؤدبا لأهل بغداد وكان يعلم المعتز، حكي عن أحمد بن إسحاق أنه دخل هو وأخوه بغداد فوقعا على رجل يلتهب ذكاء، ويجيب عن كل سؤال في الأدب والقرآن، فقلنا من هذا ؟ قالوا: ثعلب فينما نحن كذلك إذ ورد شيخ يتوكأ على عصا، فأخرجوا له حتى جلس إلى جانبه، فسأل رجل ثعلب بمسألة، فقال رأ الكسائي كذا، ورأ الفراء كذا، وقال هشام كذا، وقلت أنا كذا فقال له الشيخ: لا أراني أعتقد فيها إلا جوابك، فالحمد لله الذي بلغني فيك هذه المنزلة فقلنا من هذا الشيخ ؟ فقيل: أستاذه ابن قادم(٢).

ومنه نلاحظ أن العلماء كانوا يمتحنون قدرات تلاميذهم الذين درسوا لهم، للتأكد مما وصلوا إليه في إجادة فروع العلم،من أجل الاعتماد عليهم في تصدر مجالس التعليم من بعدهم.

(١) معجم الأدباء ٥ /٨٣، ابن شاكر الكتبي، مرجع سابق ٢ / ١٧٤، الزركلي، مرجع سابق ٥ / ٣٠٧.
(٢) معجم الأدباء ٥ / ٣٤٨، الوافي بالوفيات ٣ / ٢٩٥، الزركلي، مرجع سابق ٦ / ٢٢٢.

وفي مجالس العلماء كان العامة يحضرون للتعلم، فقد ذكر ياقوت في ترجمة أبي العباس أحمد بن محمد المعروف بابن ثوابة الكاتب ت ٢٧٧ هـ أنه كان يجيب عن أسئلة العامة ففي رواية الحسن بن علي بن الأخضر قال: كنا في مجلس ثعلب إذا جاءه أبو هفان البصري فقال: أريد ابن ثوابة، فقيل له إنه بداخل المنزل يتناول أوراق العامة الحضور ويجيب عن أسئلتهم(١).

وكان أبو سعيد أحمد بن أبي خالد الضرير البغدادي ت ٢٨٢ هـ يعلم أهل نيسابور من خلال مجلسه الذي كان يعقده في منزله، فقد قدم نيسابور وابتاع بها دارا مشهورة بباب عزرة، فبقي يعلم الناس، ويفتي بها(٢).

وقد اتخذ أبو العباس محمد بن الحسن الملقب بالأحول ت ٢٨٥ هـ من منزله منتدى للأدب يعلم من خلاله طلاب العلم العامة مع الخاصة(٣).

وفي ترجمة أبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي ت ٢٨٥ هـ أنه كان حافظا للحديث عارفا بالفقه قيما بالأدب، ففي رواية أبو عمر الزاهد وابن المنادي قالا: ما فقدنا إبراهيم الحربي من مجلس لغة أو نحو مدة خمسين سنة، وكان يحضر مجلسه جماعة من الشبان للقراءة عليه(٤).

وكان طلاب العلم يفضلون منازل بعض العلماء على بعضها لما بها من العلماء ففي ترجمة أبي علي أحمد بن جعفر الدينوري ت ٢٨٩ هـ بمصر، أنه كان يخرج من منزل ثعلب وهو جالس على باب داره فيتخطى أصحابه ليقرأ كتاب سيبويه على أبي العباس المبرد، فيعاتبه ثعلب على ذلك، فلا يلتفت إليه، وذلك لأن المبرد قرأ كتاب سيبويه على العلماء وثعلب قرأه على نفسه(٥).

---

(١) معجم الأدباء ١ / ٥٧٣، معجم المؤلفين ٢ / ٨٨.
(٢) معجم الأدباء ١ / ٣٤٨، معجم المؤلفين ١ / ٢١٤، لسان الميزان ١ / ١٦٦.
(٣) معجم الأدباء ٥ / ٢٩٥، معجم المؤلفين ٩ / ١٩١، الوافي بالوفيات ٢ / ٤٤، ابن النديم، مرجع سابق ١ / ٧٩.
(٤) معجم الأدباء ١ / ٧٤ - ٨٠، الزركلي، ١ / ٣٢.
(٥) معجم الأدباء ١ / ٣١٣، إنباه الرواة ١ / ٣٣.

ومنه نلاحظ أن الطلاب في ذلك القرن كانوا يفضلون منازل بعض العلماء على بعضها، حتى أن الدينوري كان يراجع قراءة ما يتعلمه من منزل ثعلب على المبرد، بعد أن يخرج من منزله وأما أصحاب ثعلب، كون المبرد أعلم بالنحو من ثعلب في نظر الدينوري خاصة كتاب سيبويه لأنه قرأه وراجعه على العلماء، وهذا يدل دلالة أخرى على أن العلم الذي يقوم من قبل العلماء والأساتذة يفضل على غيره من الذين لم يقوم العلماء أعمالهم.

وقد أفاد ثعلب من ذلك الدرس العملي فقد ذكر ياقوت في ترجمة أبي العباس أحمد بن يحيى الملقب بثعلب الشيباني ت ٢٩١ هـ قال: كان ثعلب يهتم بحضور مجالس العلماء حتى يفيد من العلماء فيقول له محمد بن عيسى بحضرة محمد بن عبد الملك: نحن نقدمك لتقدمة الأمير فقال له: يا شيخنا إني لم أتعلم العلم لقدمني الأمراء،وإنما تعلمته لتقدمني العلماء(١).

ومنه نلاحظ أن أبا العباس ثعلب كان يتعلم العلم من أجل العلم، ولم يتعلمه من أجل الجاه والمنصب والمال، بل أن هناك شروط لحضور مجالس العلماء، فكان مجلس العلم لا يفتح إلا إذا اكتمل عدد الحضور، فيقول العجوزي في روايته: صرت إلى المبرد مع القاسم والحسن، وابن عبيد الله بن سليمان، فقال لي القاسم: سله عن شيء من الشعر، فقال له المبرد: تمكث وتمهل، فصرنا إلى أبي العباس فلما غص (امتلأ) المجلس سألته عن بيت من الشعر فأجاب(٢).

وكان العلماء في مجالسهم يرتبون العلوم الدراسية التي يتعلمها الطلاب، فقد كان أبو الحسن محمد بن أحمد المعروف بابن كيسان ت ٢٩٩ هـ مهتما بتعليم غيره من خلال مجلسه الذي يعقده في منزله، وكان يرتب العلوم المتعلمة ففي رواية أبي حيان التوحيدي قال: ما رأيت مجلسا أكثر فائدة وأجمع لأصناف العلم والعلوم من مجلس ابن كيسان

(١) معجم الأدباء ٢ / ٦١، تذكر الحفاظ ٢ / ٢١٤، جورجي زيدان، مرجع سابق ٢ / ١٨١، إنباه الرواة ١ / ١٣٨.
(٢) الزركلي، مرجع سابق ١ / ٢٦٧.

فإنه يبدأ بأخذ القرآن والقراءات، ثم بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يقرأ عليه مجالسات ثعلب في طرفي النهار، وكان إقباله على أصحاب المرقعة الممزقة والطمر البالي (الثوب الخلق، والكساء، من غير الصوف) كإقباله على الديباج والوشي(١).

ومنه نلاحظ أن ابن كيسان كان لا يعلم تعليما خاصا بل كان يجمع بين تعليم العامة والخاصة، بل كان اهتمامه أكثر بتعليم العامة من خلال مجالسه التي كان يعقدها

منازل العلماء في القرن الرابع الهجري كمؤسسة من المؤسسات التعليمية:

لقد تعلم الكثير من طلبة العلم، والذين أصبحوا علماء فدرس مؤلفاتهم من خلال منازل العلماء في ذلك القرن ومن هؤلاء:

أبو عبيدالله الحسن بن علي المعروف بابن مقلة ت ٣٠٩ هـ الذي كان يتعلم من خلال منازل العلماء ليتزود منها بالعلم، فكان ينزل في دار قوراء (واسعة) حسنة، وقد أعد بها فرش تشاكلها، ومجلس يملي من خلاله العلماء على طلابهم وعنه. قال ياقوت: خرج لنفسه من فوائد في عدة أجزاء عن شيوخه وحدث بها، وكان القفطي ينعته بابن العلماء(٢).

وكان أبو جعفر الطبري ت ٣١٠ هـ يعلم عن طريق منزله فقد كان الأصفهاني يختلف إليه يقرأ عليه كتبه فيجلسا في منزل الطبري على حصير لصفة (اسم لبيت صيفي) له صغيرة(٣).

وقد تعلم الطبري نفسه عن طريق مجالس العلماء فيقول: كنا نعدو كالمجانين حتى نصير إلى ابن حميد، فنحلق مجلسه نتعلم منه، وفي رواية أبي بكر بن كامل قال: كان الطبري يحضر معنا مجلس ابن مجاهد، وكان المجلس حافلا بجماعة من الفقهاء من أصحاب الشافعي ومالك وأبي حنيفة، فكان الطبري يقرأ في بعض الأوقات على الكسائي

(١) معجم الأدباء ٥ / ٩٤، معجم المؤلفين ٨ / ٣١١، ابن العماد، مرجع سابق ٢ / ٢٣٢، الخطيب البغدادي، مرجع سابق ١ / ٣٢٥.
(٢) معجم الأدباء ٣ / ١٥، معجم المؤلفين ٧ / ٦٠، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٢٧٤.
(٣) معجم الأدباء ٥ / ٢٧٠، سير أعلام النبلاء ٩ / ٢٠٦، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٣ / ٢٠٥.

ويقول الطبري: خرج إلينا ابن مجاهد ت ٣٢٤ هـ ونحن نقرأ كتاب قراءة أبي عمرو فوجدنا نتناظر في (بسم الله الرحمن الرحيم) مع بعض إخواننا من الشافعيين، هل هي من فاتحة الكتاب أم لا، فجلس يسمعنا(١).

ومنه نلاحظ أن الطبري قد تعلم في بدأ حياته التعليمية من خلال مجالس العلماء والتي كانت تعقد بداخلها مجالس للمناظرات في فروع العلوم التي يحصلها كل من هؤلاء الطلاب، ولذلك فإن بعض تلاميذ الطبري درسوا عليه من خلال مجالسه التي كان يعقدها في منزله، ليتزود من خلالها طلاب العلم بالعديد من العلوم الدراسية.

وقد تعلم أبو محمد سلمة بن عاصم ت ٣١٠ هـ عن طريق مجالس العلماء، فقد كان يحضر مجالس الفراء، وإذا لم يحضر مجالس الإملاء كان يأخذها ممن حضرها ويتدبرها فيجد فيها السهو فيناظر الفراء عليها فيرجع عنها(٢).

ومنه نلاحظ أن الطالب أو المتعلم كان ينبه أستاذه حينما يكون على ثقة من علمه، وقد كان العلماء يقلعون عما قالوه إذا أيقنوا أن الصواب قد جانبهم، فيما ألقوه على أسماع المتعلمين، وكانت منازل العلماء ومجالسهم بمثابة لجنة لتقييم أعمال ومؤلفات العلماء ونقدها، ففي ترجمة ياقوت لأبي بكر محمد بن الحسن المعروف بابن دريد ت٣٢١هـ قال: كان ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء، وفي رواية أبي منصور الأزهري قال: كان أبو بكر بن دريد ممن ألف في زماننا الكتب فرمي بافتعال العربية، وتوليد الألفاظ، وبإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامها، وقد حضرت في داره غير مرة، فروى عن أبي حاتم الرياشي، والأصمعي وتصفحت كتابه الذي أعاره اسم الجمهرة فلم أرد فيه على معرفة ثاقبة، ولا قريحة جيدة(٣).

---

(١) معجم الأدباء ٥ / ٢٤٨، سير أعلام النبلاء ٩ / ٢١٠، اللباب ٢ / ٨١، تذكرة الحفاظ ٢ / ٣٥١.
(٢) معجم الأدباء ٣ / ٣٩١، معجم المؤلفين ٤ / ٢٤٠، إنباه الرواة ٢ / ٥٦، الزركلي، مرجع سابق ٣ / ١١٣.
(٣) معجم الأدباء ٥ / ٢٩٨، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٤٩٧، الزركلي، ٦ / ٨٠، لسان الميزان ٥ / ١٣٢، جورجي زيدان، مرجع سابق ٢ / ١٨٨.

ومنه نلاحظ أن منازل العلماء اتخذت كمؤسسات لتقييم أعمال العلماء ونقدها بما يشبه الآن تقييم الرسائل العلمية أو تقييم البحوث التربوية، غير أن هذا النقد كان الهدف منه الإصلاح وتنقيح الأعمال من حيث ألفاظها ومعانيها.

وكان ابن دريد يعلم الصبيان من خلال مجالسه، وان لا يزجرهم عند الخطأ، ففي رواية أبو هلال قال: أخبرنا أبو أحمد قال: كنا في مجلس ابن دريد، وكان يتضجر ممن يخطئ في قراءته، فحضر غلام فجعل يقرأ، ويكثر الخطأ وابن دريد صابر عليه، وأهل المجلس يتعجبون منه، وفي رواية الرصافي قال: حضرت مجلس ابن دريد وقد سأله بعض الناس عن معاني أبيات من الشعر فأجابهم عن سؤالهم(١).

ومنه نلاحظ أن مجالس العلماء كانت تجمع بين تعلم الصبيان وتعلم العامة وكان العلماء يتجاوزون عن أخطاء الصبيان أثناء تعلمهم بمجالس العلماء.

وفي ترجمة أبي القاسم جعفر بن محمد الملقب بالفقيه الشافعي ت ٣٢٣ هـ أنه اتخذ من منزله مؤسسة تربوية لتلقي الطلاب عن العلماء، ففي رواية أبي علي بن أبي الزمزم قال: كانت للفقيه الشافعي دار علم قد جعل فيها خزانة كتب في جميع العلوم وقفا على كل طالب لا يمنع أحد من دخولها، فإذا جاء غريب يطلب الأدب والتزود من العلم ولا يملك أدوات الكتابة أعطي أدوات الكتابة فيقول: فإن كان طالب العلم معسرا أعطي ورقا وورقا (أي الفضة) وكانت تفتح داره كل يوم(٢).

وقد كانت مجالس العلماء ومنازلهم تقدم الكثير من الطرق التربوية، ففي ترجمة ياقوت لأبي عبدالله إبراهيم بن محمد المعروف بنفطويه ت ٣٢٣ هـ قال: أخذ نفطويه عن ثعلب والمبرد، وكان يدرس كتاب سيبويه، وقد جلس للإقراء أكثر من خمسين سنة، وكان يبتدئ مجلسه بالقرآن على رواية عاصم، ثم يقرأ تلاميذه ويسمع هو منهم(٣).

---

(١) معجم الأدباء ٥ / ٢٠٣، ابن كثير، مرجع سابق ١١ / ١٧٧، السبكي، مرجع سابق ٢ / ١٤٥، ابن العماد، مرجع سابق ٢ / ٢٩١.

(٢) معجم الأدباء ٢ / ٣٩١، الوافي بالوفيات ١ / ٥٠٧.

(٣) معجم الأدباء ١ / ١٦٠، إنباه الرواة ١ / ١٧٦، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ١١، سير أعلام النبلاء ١٠ / ١٨، ابن العماد، مرجع سابق ٢ / ٢٩٩، معجم المؤلفين ١ / ١٠٢، الزركلي، مرجع سابق ١ / ٦١.

ومنه نلاحظ أن العلماء كانوا يقدمون بمجالسهم الكثير من الطرق التربوية، فكان المعلم يشرح ويوضح، ثم يطلب من تلاميذه القراءة للتأكد من تمكنهم من دروسهم، وأن يتعود التلاميذ على القراءة الصحيحة، ويصحح لهم ما يخطئون فيه.

وكانت مجالس العلماء تخضع لمذاهب العلماء، فقد كان أبو الحسن أحمد بن يحيى بن أبي منصور المنجم ت ٣٢٧ هـ من أصحاب الطبري وتفقه على مذهبه، وكان له مجلس يحضره جماعة من المتكلمين بالحضرة، فهو متكلم معتزلي المذهب أي يعتقد ويرى رأي المعتزلة، ولذلك كان طلابه من المتكلمين(١).

وكان العلماء يعتمدون على طريقة الحفظ في تعليم الطلاب من خلال مجالسهم ومن هؤلاء العلماء:

- أبو بكر محمد بن القاسم المعروف بأبي بكر الأنباري ت ٣٢٧ هـ الذي اهتم بتعليم طلابه عن طريق الحفظ، ففي رواية حمزة بن محمد الدقاق قال: كان أبو بكر بن الأنباري، يملي كتبه المصنفة ومجالسه المشتملة على الحديث والتفسير والأخبار والأشعار كل ذلك من حفظه(٢).

ومنه نلاحظ أن العلماء لم يعتمدوا على الخطابة والإلقاء في التعليم لطلابهم ولكنهم استخدموا طريقة الإملاء كواحدة من الطرق التربوية، معتمدين في ذلك الحفظ.

وقد جماع الأنباري بين التعليم في مجالسه وبين تصنيف الكتب فله كتاب المجالسات مطبوع، وكتاب الرد على من خالف مصحف عثمان(٣).

---

(١) معجم الأدباء ٢ / ٧٨، تاريخ الحكماء، ص ٧٨، لسان الميزان ١ / ٣٢٥.
(٢) معجم الأدباء ٥ / ٤١١، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٥٠٣، تذكرة الحفاظ ٣ / ٥٧، الخطيب البغدادي، مرجع سابق ٣ / ١٨١.
(٣) الزركلي، مرجع سابق ٦ / ٣٣٤.

ومن طلاب العلم الذين تعلموا عن طريق مجالس العلماء في ذلك القرن:

- أبو الحسن علي بن الحسين الملقب بالمسعودي ت ٣٤٦ هـ بمصر، كان مؤرخ رحالة، قال عنه كريمر: إن المسعودي هو " هيرودوت العرب " فقد كتب من الكتب ما يقرأ المسلمون والأوربيون،وذلك استحق هذا اللقب، ومع ذلك تعلم عن طريق مجالس العلماء فقد حضر مجلس أبي العباس ببغداد سنة ٣٠٦ هـ،وقد حضر، جماعة من حذاق الشافعية والمالكية وصنف في ذلك كتاب مروج الذهب مطبوع، وكتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدثان في التاريخ يقع في نحو ثلاثين مجلدا ذكر الزركلي أن الجزء الأول منه مخطوط(١).

ومن خلال مجالس التعليم كان يحدد لكل أهل علم وقت معين يختلف عن أهل علم آخر، ففي ترجمة أبي العباس محمد بن أحمد المعمري ت ٣٥٠ هـ أنه كان من المشتغلين بالفلسفة وفي رواية القاضي قال: كان رسم المعمري (عادته) أن يجلس لأهل العلم في يوم الأربعاء، فبكرنا إليه في بعض الأيام فقال: للجماعة ليس لكم عندي اليوم فائدة، ولا مني حظ، وفي رواية أبي تمام الحسن بن محمد الزيني قال: كنت أغشى مجلس أبي العباس المعمري دائما وآخذ عنه وكنت أبادر إليه، ويتبعني جماعة من أصحابي في اليوم الذي يحدده لنا(٢).

- أبو الفرج علي بن الحسين الملقب بالعلامة الأصفهاني ت ٣٥٦ هـ كان من العلماء الذين علموا تلاميذهم من خلال مجالسهم ففي رواية الحميدي قال: كان للأصفهاني صاحب كتاب الأغاني مجلس في منزله يتذاكرون طلابه مع أمور الدنيا والآخرة، حتى ذكر لهم موت الفجاءة(٣).

---

(١) معجم الأدباء ٤ / ٤٨ - ٥٠، ابن شاكر الكتبي، مرجع سابق ٢ / ٤٥، الزركلي ٤ / ٢٧٧.
(٢) معجم الأدباء ٥ / ١٢٠، معجم المؤلفين ٩ / ٢٢، الوافي بالوفيات ٢ / ٧٥، الزركلي، مرجع سابق ٥ / ٣١٦.
(٣) معجم الأدباء ٤ / ٦٧، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٣٣٤، معجم المؤلفين ٧ / ٧٨، الثعالبي، مرجع سابق ٢ / ٢٧٨، إنباه الرواة ٢ / ٢٥١، الأصفهاني، مرجع سابق ١ / ٣.

ومن هؤلاء العلماء الذين علموا تلاميذهم من خلال مجالسهم :

- أبو الحسن علي بن عبد الله الملقب بالناشئ الحلاء ت ٣٦٥ هـ الذي اهتم بتعليم الصبيان من خلال مجالسه، ففي رواية ابن عبد الرحيم قال: اجتزت مجلس الناشئ مع والدي وأنا صبي يوما، وهو جالس في السراجين، فقال: قد علمت قصيدة، وقد طلبها بعض الأمراء وأريد أن تكتبها بخطك حتى أخرجها فكتبتها له، وحفظت منها الكثير(١).

ومن الطلاب الذين تعلموا عن طريق مجالس العلماء في القرن الرابع الهجري :

- أبو الحسين أحمد بن زكريا الملقب بالصاجي ت ٣٦٩ هـ الذي يعطي درسا في التربية ففي رواية يحيي بن مندة الأصبهاني قال: سمعت أحمد بن زكريا يقول: دخلت بغداد طالبا للحديث فحضرت مجلس أصحاب الحديث وليست معي قارورة، فرأيت شابا عليه سمة الجمال، فاستأذنته في كتب الحديث من قارورته، فقال: من انبسط إلى الإخوان بالاستئذان فقد استحق الحرمان(٢).

ومنه نلاحظ أن الطالب الذي يحضر إلى مكان التعليم لابد وأن يحضر معه أدواته التي يستخدمها في التعليم، وهذا الدرس التربوي يوضح لنا ياقوت الحموي من خلال روايته التي ساقها لنا في كتابه " معجم الأدباء ".

وقد كانت منازل العلماء تعد لإقامة طلاب العلم، فقد ذكر ياقوت في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عمران المرزباني الملقب بالراوية الكاتب ت ٣٧٨ هـ أنه كان يعلم الطلاب من خلال منزله بل يقيمون بداخله ففي رواية أبي القاسم الأزهري قال: سمعت المرزباني يقول: كان في داري خمسون ما بين لحاف ودواج، كانت معدة لطلاب العلم الذين يبيتون عندي، وبجانب ذلك اهتم بتصنيف الكتب فله كتاب الأزمنة، ذكر الزركلي

---

(١) معجم الأدباء ٤ / ١٤٩، معجم المؤلفين ٧ / ١٤٢، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٣٠٤.
(٢) معجم الأدباء ١ / ٥٣٩، إنباه الرواة ١ / ٩٢، الزركلي، مرجع سابق ١ / ١٩٣، أحمد بن فارس، الصاجي، الطبعة الأولى (القاهرة، ١٣٢٨ هـ) ص: (ياء).

أنه مطبوع في الفصول الأربعة الوافي بالوفيات الفيوم والبرق وأيام العرب والعجم، وهو يقع في نحو ألفي ورقة، وكتاب المؤنق في تاريخ الشعراء يقع في نحو ثلاثة آلاف ورقة(١).

ومن الطلاب الذين تعلموا عن طريق مجالس العلماء في القرن الرابع الهجري:

- أبو علي المحسن بن علي التنوخي ت ٣٨٤ هـ ببغداد الذي رحل إلى بغداد في حداثته فتفقه على مذهب أبي حنيفة، وكان مهتما بحضور مجالس العلماء للتعليم على أيدي العلماء، ففي رواية غرس النعمة قال: حضرت مع التنوخي مجلس أبي العباس بن أبي الشوارب قاضي القضاة إذ ذاك ببغداد، وكنت أكتب له ما يملي علي، بل كان الطلاب يكرمون العلماء ويقدرون علمهم مما أوجب احترام المتعلم للمعلم فيقول التنوخي: كنت إذا دخل العلماء وأنا بحضرة القاضي، ومد أحدهم يده ليساريني أقبلها(٢).

ومنه نلاحظ أن الطلاب كانوا يقبلون أيدي العلماء احتراما هلم وإجلالا لمكانتهم وعلمهم وكان الطلاب يحصلون على التشجيع من والديهم عند تفوقهم في التعليم من خلال مجالس العلماء ومن هؤلاء الطلاب في ذلك القرن:

- أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الحراني ت ٣٨٤ هـ الذي قال: سمعت أبا الريان حامد بن محمد الوزير يقول لجدي وهما في مجلس أنس وأنا حاضر معهما لما أنفذت القصيدة اللامية قام إليه ليهنئه على تفوقي وكثرة حفظي للشعر(٣).

ومن العلماء أصحاب المجالس في ذلك القرن:

- أبو القاسم إسماعيل بن العباس الملقب بالصاحب ت ٣٨٥ هـ الذي غلب عليه الأدب، فكان من نوادر الدهر علما وفضلا وتدبيرا وجودة، وقد اهتم بتعليم الصبيان عن طريق حضورهم يوما على أبي السائب القاضي وأنا صبي في مجلسه للتعلم منه، وفي رواية أبي حيان التوحيدي قال: كنت بالري سنة ٣٥٨ هـ، وقد عقد لابن عباس مجلس جدل، وكنا

(١) معجم الأدباء ٥ / ٣٨٦، الوافي بالوفيات ١ / ٥٠٧، الزركلي، مرجع سابق ٦ / ٣١٩.
(٢) معجم الأدباء ٥ / ٦٣، معجم المؤلفين ٧ / ١٧٥، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٣٢٤.
(٣) معجم الأدباء ١ / ١٩٨، أبو حيان التوحيدي، مرجع سابق ١ / ٦٧، الثعالبي، مرجع سابق ٢ / ٢٣.

نبيت عنده في داره في باب شيراز (قرية على مقدار فرسخ مرية تخرج فيها من العلماء إبراهيم بن أحمد البابشيري ت ٣٠٦ هـ) وكان معنا الضرير، والبرقي والزعفراني وجماعة من الغرباء للتعلم من هذه المجالس، وفي رواية الهمذاني قال: كان بعض الفقهاء مثل ابن الخضيري يحضر مجلس الصاحب بالليالي يتعلم منه، وفي رواية الشاباوي قال خرجنا من مجلس الصاحب فسئلت كيف رأيت مولانا الصاحب اليوم مع هذا التغرير وإظهاره البلاغة الحسنة بين الناس ؟ فقلت: السكوت عنه إحدى الحسنيين، ولكن نعوذ بالله ممن يزين له الشيطان عمله(١).

وقد تحدث الصاحب بن عباد عن فضل مجالس العلماء على طلاب العلم، فكان لمجالس العلماء مكانة بارزة وغالية في قلوب المتعلمين، لما لها من أثر في تغيير حياتهم العلمية والاجتماعية فيقول الصاحب بن عباد: إن المجالس تخرج (تدرب وتعلم) الناس وتهب لهم الذكاء، وتزيدهم الفطنة، وتحول الكودن (أي الهجين) عتيقا، والمحمر جوادا، ثم لا يصرف عن مجلسه إلا بجائزة سنية (عظيمة) وعطية هنية، وفي رواية أبو مسلم قال كان الرجل (الصاحب) فيه طباع المتعلمين(٢).

ومنه نلاحظ فضل مجالس العلماء،حيث تدرب وتعلم العامة والخاصة، فتحول عقولهم من الركاد إلى الذكاء، وترفع درجة الحنكة والفطنة عند المتعلمين،وتحول الشاب الصغير (بعلمه) إلى شيخ وقور، بسبب هذا العلم، وبالإضافة إلى ذلك لا ينصرف هذا المتعلم إلا بمكافأة عظيمة من هذه المجالس وقد يقصد به الأجرة التي يحصلون عليها.

وكان منازل العلماء في ذلك القرن حيث يذهب العالم إلى منزل المتعلم ويخصص له مكان ليتلقى فيه الطالب العلم، ففي ترجمة أبي الفضل جعفر بن الفضل المعروف بابن

(١) معجم الأدباء ٢ / ٢٨٦، إنباه الرواة ١ / ٢٠١، الكامل في التاريخ ٩ / ٣٧، معجم المؤلفين ٢ / ٢٧٤، الزركلي، مرجع سابق ١ / ٣١٦.
(٢) معجم الأدباء ٢ / ٢٤٥.

حنزابة والملقب بسيدوك ت ٣٩١ هـ قال: سمعت أبي يقول: كنت يوما مع الباغندي في الحجرة المخصصة له في المنزل ليقرأ له فيها (أي يقرأ لي كتب أبي بكر بن أبي شيبة[١]

ومن منازل العلماء التي قامت بدور تعليمي في ذلك القرن منزل :

- أبو الفضل أحمد بن الحسين الملقب ببديع الزمان ت ٣٩٨ هـ الذي كان قوي الحافظة يضرب به المثل في حفظه، وقد اتخذ من منزله مؤسسة تعليمية فقد حضر الطلاب إلى داره وكانوا كثرة، حتى قال بعضهم حضرت داره، وقبلت جداره وما بي حب الحيطان ولكن شغف بالقطان، ولا عشق الجدران ولكن عشق إلى السكان[٢].

ومنه نلاحظ أن الطلاب كانوا يقبلون منازل العلماء، لا حبا فيها، ولكن حبا واعترافا بفضل من سكن هذه الديار، لما تعلمه الطلاب.

وقد هيأ بديع الزمان مجلسا في دار السيد أبي القاسم وقد حضره الكثير من طلاب العلم وكان الصاحب يعجب ببراعة بديع الزمان في الأدب، وأحضره مجالسه، فكان يلقى عليه الأبيات بالفارسية ويطلب منه نقلها إلى العربية، فينقلها في سرعة عجيبة[٣].

- أبو أسامة جنادة بن محمد الملقب بالنحوي ت ٣٩٩ هـ الذي اهتم بمدارسة العلوم من خلال منزل أحد العلماء بالقاهرة،فقد قدم أبو أسامة مصر وصحب الحافظ عبد الغني بن سعيد، وأبا إسحاق علي بن المعري، وكانوا يجتمعون في دار بالقاهرة،ويجري بينهم محادثات ومذاكرات[٤].

وقد استمرت منازل العلماء ومجالسهم في تقديم هذا الدور التربوي التعليمي في القرن الخامس الهجري، ومن هذه المجالس مجلس:

---

(١) معجم الأدباء ٢ / ٣٧٩، حسن المحاضرة ١ / ١٩٩، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٤ / ٢٠٣، الزركلي، مرجع سابق ٢ / ١٢٦.
(٢) معجم الأدباء ١ / ٢٧٠، معجم المؤلفين ١ / ٢٠٩، الوافي بالوفيات ٥ / ١٥٩.
(٣) تذكرة الحفاظ ٣/ ٢١٧، الكامل في التاريخ ٩ / ٧٢، ابن العماد، مرجع سابق ٣ / ١٥٠.
(٤) معجم الأدباء ٢ / ٤٠١، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ١١٧، الزركلي، مرجع سابق ٢ / ١٤٠.

- أبو الحسن علي بن عبيد الله السمسمي ت ٤١٥ هـ الذي اهتم بتعليم طلابه من خلال مجالسه التي كان يعقدها لهم، ففي رواية ابن نصر قال: كنا في مجلس أبي الحسن السمسمي، فسأله رجل عن مسألة قال له: ما العنجيد ؟ قال: لا أعرف هذا، فقال له السائل: سبحان الله، أن يذهب بلك عن الأعشى، إذ يقول:

يوم تبدي لنا قتيلة عن جيد تليع يزينه الأطواق.

فقال له أبو الحسن: عافاك الله، عن حرف جرجاء لمعنى، والجيد: العنق، ثم جعل يدرس فقال له آخر: أخبرني شيخنا عن كوفا أمن المهاجرين أم من الأنصار ؟ فقال له: قد رويت أنساب الجميع ولست أعرف فيهم كوفا، فقال له: أي أنت من قوله تعالى "...وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا ..." (١) قال: فأخذ أبو عبيد نعليه،واشتد ساعيا من مجلسه وهو يصيح بأعلى صوته قائلا: من أين حشرت البهائم علي اليوم (٢).

ومنه نلاحظ أن العلماء كانوا يعزفون عن إكمال مجالسهم التعليمية إذا وجدوا هناك تقصيرا من المتعلمين في الفهم والإدراك، بل كان العلماء يصفونهم بالجهلاء وبالبهائم لاشتراكهما في عدم الفهم والإدراك، وخلو عقولهم مما يميز لهم بين ما هو غاية لهم أو ضد حياتهم، غير أن السمسمي تناسى قوله تعالى:

" وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ... "(٣).

ومن الطلاب الذين تعلموا عن طريق المنازل ومجالس العلماء في ذلك القرن:

- أبو الحسن علي بن عيسى، الملقب بالزهري ت ٤٢٠ هـ الذي تعلم عن طريق منازل العلماء فقد قدم إلى واسط، ونزل في حجرة في جوار الشيخ، أبي إسحاق الرفاعي،ويقول كنت أتردد إلى أبي إسحاق أسائله، فقال لي يوما: أنه يحكى النحو عن أبي علي الفارسي، كما أنزل قلت: صدقت (٤).

---

(١) سورة الفتـــح : من الآية ٢٥.
(٢) معجم الأدباء ٤ / ١٨٣، الأنباري، مرجع سابق ص ٤١٤، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٣٤٣.
(٣) سورة الإسراء : من الآية ٧٠.
(٤) معجم الأدباء ٤ / ١٩٤، إنباه الرواة ٢ / ٢٩٧، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٣١٨.

ومنه نلاحظ أن طلاب العلم كانوا يقيمون في منازل العلماء أو بالقرب من منازلهم حتى يمكنهم التردد على هؤلاء العلماء لاكتساب المعرفة والاستزادة من العلوم.

ومن أصحاب المجالس العلمية في ذلك القرن:

- أبو المظفر إبراهيم بن أحمد الأزدي، كان حيا سنة ٤٣٢ هـ الذي قدم همذان، وحضر مجالسة الأدباء والنحاة لمحله من الأدب(١).
- أبو القاسم علي بن الحسين الملقب بالمرتضى ت ٤٣٦ هـ الذي اهتم بتعليم الصبيان في مجلسه عن طريق القدوة، ففي رواية أبي الرملي قال: حضرت مجلس المرتضى وأنا إذا ذاك صبي فدخل عليه بعض الأكابر فأجلسه،وتسائلا في كثير من أنواع العلوم، فقد كان المرتضى أحد الأئمة في الأدب والشعر، وله كتاب الشهاب في الشيب والشباب، يقول الزركلي إنه مطبوع، وله كتاب الانتصار، ذكر الزركلي أنه مطبوع وكتاب تنزيه الأنبياء مطبوع، وله تفسير القصيدة الذهبية، قال الزركلي إنها مطبوعة في شرح قصيدة السيد الحميري، وله كتاب إنقاذ البشر من الجبر والقدر بت، قال الزركلي إنه مطبوع(٢).

ومن العلماء الذين علموا عن طريق المجالس التي عقدت في منازلهم في ذلك القرن:

- أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري ت ٤٤٩ هـ الذي اتخذ من منزله مجلس يعلم طلابه من خلاله، فيقول: لزمت مسكني منذ سنة ٤٠٠ هـ واجتهدت على أن أملي على طلابي أشياء، وهم يقولون نسخها، وكان من بين هؤلاء: أبو الحسن علي بن عبد الله، فألزمني بذلك حقوقا جمة(٣).
- أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الملقب بالصابوني ت ٤٤٩ هـ الذي اهتم بنقل الحديث الى طلابه عن طريق مجالسه التي كان يعقدها فقد كان أكثر أهل عصره من المشايخ سماعا وحفظا وتحريضا على السماع، وإقامة لمجالس الحديث(٤).

---

(١) معجم الأدباء ١ / ٧٠، معجم المؤلفين ١ / ٨، تاريخ دمشق ٢ / ١٨٢ - ١٨٤.
(٢) معجم الأدباء ٤ / ٨١، الخطيب البغدادي، مرجع سابق ١١ / ٤٠٣، الزركلي ٤ / ٢٧٨.
(٣) معجم الأدباء ١ / ٤١٨، سير أعلام النبلاء ١١ / ١٥٤، الكامل في التاريخ ٩ / ٢٢٢، الزركلي ١ / ١٥٧.
(٤) معجم الأدباء ٢ / ٢٩٨، السبكي، مرجع سابق ٣ / ١٢٩، الزركلي ١ / ٣١٧.

- أبو غالب محمد بن أحمد المعروف بابن بشران ت ٤٦٢ هـ الذي تعلم عن طريق مجالس العلماء، ففي رواية أبي الفرج بن عبيد قال: سألت أبا غالب بن بشران عن خميس الجوزي فقال: إنه أحد الأعيان قدم واسط فجالس أبي الجلاب، وابن دينار، وقرأ عليه كتاب سيبويه ولازم حلقة أبي إسحاق الرفاعي، صاحب السيرافي، وقرأت عليه من أشعار العرب ألف ديوان، فقد كان حسن المحاضرة. ويقول ياقوت: له كتب ذهبت على طول المدى منها كتاب فضائل بيت المقدس، قال الزركلي إنه مخطوط فل دار الكتب مصورا عن نسخة كتبت سنة ٥٨٣ هـ وله ديوان من أشعار العرب(١).
- أبو الحسن علي بن الحسين الباخرزي ت ٤٦٧ هـ كان له مجلس علم للإفادة شاركه فيه للمحاضرة الشيخ أبو نصر الكندري، والإمام الموفق النيسابوري عام ٤٣٤ هـ(٢).

ومنه نلاحظ أنه مجالس العلماء كانت بمثابة المؤسسات التعليمية التربوية، التي يشترك فيها الكثير من العلماء بهدف تعليم الطلاب وتمكنهم من تحصيل معارفهم.

- أبو بكر محمد بن أحمد المعروفل بابن الخاصبة ت ٤٨٩ هـ الذي تعلم في منزل مؤدبه أبي طالب المعروف بابن الدلو، وقد كان رجلا عالما صالحا، ثم ذهب ابن الخاصبة إلى علي بن أبي المناقب ولم يكن ابن الخاصبة ضابطا في الرواية بل كان متساهلا، ويقول ياقوت عنه: إنما ذكرت ابن الخاصبة في كتابي هذا وإن لم يكن اشتهر بالأدب، غير أنه كان وراقا قارئا، وله حكايات ممتعة، ولم يكن بالعارف من الأدب بالكلية(٣).

ومنه نلاحظ أن ابن الخاصبة لم يحصل العلوم كلية، ولم يتخصص في علم بعينه يعرف به، رغم تردده على منازل العلماء، بل كان مهتما بالأدب ومع ذلك لم يحصل منه الكثير.

---

(١) معجم الأدباء ٥ / ١٥١، لسان الميزان ٥ / ٤٣، الزركلي ٥ / ٣١٤.
(٢) معجم الأدباء ٤ / ٢١.
(٣) معجم المؤلفين ٨ / ٢٧٣، هدية العارفين ٢ / ٧٧.

- أبو القاسم أسعد بن علي الزوزني الملقب بالبارع ت ٤٩٢ هـ كان مهتما بالسعي والمواظبة على حضور مجالس العلماء من أجل تحصيل العلم، ففي رواية الباخرزي قال: اكتسب البارع الأدب بجده وكده، وانتهى من الفضل إلى أقصى حده، ونظمتني وإياه صحبة الكتاب، وقد تتلمذ تلمذة مباشرة على يد القاضي أبي جعفر البحاتي(١).

وقد العلماء من خلال منازلهم ومجالسهم الكثير من طلاب العلم في القرن السادس الهجري ومن هؤلاء:

- أبو علي أحمد بن محمد الواسطي ت ٥٥٢ هـ كان يعلم غيره من الطلاب في منزله، فقد كان منزله بواسط، مألفا (مكانا) لأهل العلم، وله من الكتب كتاب القضاة مطبوع وكتاب تاريخ البطائح، مطبوع(٢).
- أبو جعفر أحمد بن محمد البيهقي ت ٥٤٤ هـ كان يعلم بداخل منزله، وانتشر عنه ذلك في البلدان، وظهر له تلاميذ نجباء، حيث كان ملازما لبيته لا يخرج منه إلا في أوقات الصلاة، وقد تخرج في منزله خلق كثير، ومع ذلك جمع بين تعليم طلابه وتصنيف الكتب فله كتاب ينابيع اللغة، مطبوع، وكتاب تاج المصادر، ذكر الزركلي أنه مخطوط وقال رأيت نسخة منه في مغنيسا برقم ٢٨٢٣، كتبت سنة ٩٦٣ هـ في ٢١٨ ورقة، ومنه نسخة بدار الكتب(٣).
- حمدان بن عبد الرحيم الملقب بالأثاري ت ٥٥٤ هـ الذي تلقى العلم من العلماء عن طريق المجالس التي كان يعقدها، فقد كان دائبا في طلب العلم، يحضر مجالس العلماء وأهل الأدب، واتخذ من المصاحبة والملازمة للعلماء طريقا للحصول على العلم، فكان يصحب من لقيه من العلماء ويلازمه، ومع نبوغه صنف كتاب القوت في تاريخ حلب من سنة ٤٩٠ هـ فما بعدها من أيام الفرنج وأخبارهم، وخروجهم إلى الشام(٤).

---

(١) معجم الأدباء ٢ / ١٧٥، اللباب ١ / ٨٦، الزركلي، مرجع سابق ١ / ٣٠٠.
(٢) معجم الأدباء ٢ / ٣٢، السبكي، مرجع سابق ٤ / ٣٧، معجم المؤلفين ١ / ١٧٢.
(٣) معجم الأدباء ١ / ٥١٦، إنباه الرواة ١ / ٨٩، الزركلي، مرجع سابق ١ / ١٧٣.
(٤) معجم الأدباء ٣ / ٢٥٣، معجم البلدان ١ / ١٠٦، الزركلي، مرجع سابق ٢ / ٢٧٤.

- أبو محمد عبد الله بن أحمد الملقب بالخشاب ت ٥٦٨ هـ كانت له دار عتيقة وفي صدرها ألواح مرصوص عليها كتب له، وقد أقام بها طلاب العلم للاقتباس من كتبه، ولذلك وقف كتبه على أهل العلم، ومن مؤلفات الخشاب كتاب المرتجل في شرح الجمل للزجاجي ذكر الزركلي أنه مخطوط، وكتاب الرد على التبريزي في تهذيب الإصلاح، وله نقد المقامات للحريري مطبوع، وله شرح مقدمة الوزير ابن هبيرة، مطبوع في النحو في أربعة مجلدات(١).

ومنه نلاحظ أن منازل العلماء لعبت دورا حيويا في تعليم العامة والخاصة، فقد قامت بدور المدارس التربوية في ذلك القرن الذي أرخ له ياقوت، ولأهميتها فقد مارست نشاطها جنبا إلى جنب مع المدارس.

- أبو الفتح محمد بن محمد الواسطي ت ٥٧٤ هـ الذي أخذ علم النحو عن طريق حضور مجالس العلماء، ومع ذلك لم يجز العلماء تصدر المجالس للإفادة فقد جالس ابن كردان وسمع منه وجالس أبا الحسين بن دينار، ومع ذلك لم يتصدر لإقراء النحو(٢).
- أبو عبد الله محمد بن محمد الملقب بالكاتب الأصبهاني ت ٥٩٧ هـ الذي اهتم بتعليم غيره من خلال مجالسه فقد كان الشهرزوري يحضر مجالسه، ويذاكر بمسائل الخلاف في الفروع، وقد كان الأصفهاني عالما بالأدب ومن أكابر الكتاب(٣).

ومن منازل العلماء التي قامت بدور تعليمي في القرن السابع الهجري:

منزل الشيرازي: وهو أبو المظفر أسامة بن مرشد الكناني الكلبي الشيرازي ت٦٠٧هـ ففي رواية العماد قال: كان أبو المظفر حلو المجالسة، يتخذ من منزله دارا للعلم فهو على النجم من سماء النباهة، معتدل التصاريف مطبوع التصانيف، وقد كتب الشيرازي سيرته في جزء سماه الاعتبار طبع وترجم إلى الفرنسية والألمانية(٤).

(١) معجم الأدباء ٣ / ٤٤٤، معجم المؤلفين ٦ / ٢٠، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٢٦٧، الزركلي ٤ / ٦٧.
(٢) معجم الأدباء ٥ / ١٤٥، الوافي بالوفيات ٤ / ١٤٢، الزركلي ٦ / ٢٧٧.
(٣) معجم الأدباء ٥ / ٤٢١، ابن العماد، مرجع سابق ٤ / ٣٣٢، الزركلي، مرجع سابق ٧ / ٢٦.
(٤) معجم الأدباء ٢ / ١٠٣، جورجي زيدان، مرجع سابق ٣ / ٦١، الزركلي، مرجع سابق ١ / ٢٩١.

خامسا: مجالس الأمراء والوزراء:

تعد من المؤسسات والأماكن التي قامت بدور تعليمي، فقد أفاد طلاب العلم بل والعامة الكثير من علوم العلماء التي تلقى أثناء مجالس الأمراء والوزراء، ولم يظهر ذلك الدور في القرن الأول الهجري، وإنما ظهر واضحا في القرن الثاني الهجري ومن أشهر تلك المجالس في ذلك القرن:

- مجلس هارون الرشيد:

فقد ذكر ياقوت في ترجمة أبي بكر عياش بن سالم الملقب بالخياط ت ١٩٣ هـ أنه اهتم بحضور مجالس الأمراء للاقتباس من علم العلماء الذي يحضرون إلى مجالس الأمراء ففي رواية الحسن النحوي عن محمد بن عثمان قال: قدم هارون الرشيد الكوفة، ونزل الحيرة، ثم بعث إلى أبي بكر بن عياش، فحملناه إليه بعد ذهاب بصره، فسأله أمير المؤمنين أسئلة (نتركها لعدم الإسهاب والتطويل) فأجاب عنها وأطال في الجواب، ثم خرج عياش من مجلس أمير المؤمنين فتبعه الفضل بن الربيع بثلاثين ألف درهم، فقال له عياش: فما لقائدي، قال له الفضل: خمسة آلاف(١).

ومنه نلاحظ أن العلماء كانوا يحصلون على أجرة مقابل تعليمهم العلم لمن في مجالس الأمراء.

وفي القرن الثالث الهجري كانت مجالس الأمراء والوزراء تقوم بدورها التعليمي بجانب أخذ العلماء أجرة على حضورهم لهذه المجالس، فقد ذكر ياقوت في ترجمة أبي محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي الملقب بالنديم ت ٢٣٦ هـ أنه كان من أشهر ندماء الخلفاء، وكان من رواد حضرتهم، والتعليم بجانبهم فيقول: ذكر المعتصم يوما وأنا بحضرته بعض أصحابه فقال: يا أبا محمد إن أصبت في إجابتك فلك مكافأة، وإن لم تصب قتلتك فسأله المعتصم، فأجاب النديم بإجابات حسنة، فقال المعتصم: قد أمرت لك بمائة ألف

(١) معجم الأدباء ٢ / ٣٣٨ - ٣٤٣، معجم المؤلفين ٨ / ٢٧٦.

درهم، ثم قال: فإنها مائتا ألف أتريد مزيد ؟ فقلت له: ما أحوجني قال: فإنها ثلاثمائة ألف(١).

ومنه نلاحظ أن العالم كان إذا أجاد وتفوق في علمه، من ابن خلكان، مرجع سابق الأسئلة التي توجه إليه بمجالس الأمراء، كان يحصل على مكافأة أمام من بمجالس الأمراء حتى يكون ذلك حافزا لهم على مداومة التقدم في النواحي العلمية والأدبية.

ومن خلال مجالس الأمراء، كان العلماء والشعراء يتفاخرون كل بعلمه وبشعره، حتى يتعلم من بمجالس الأمراء والوزراء، ومن هؤلاء العلماء:

- أبو إسحاق إبراهيم بن العباس الملقب بالصولي الكاتب ت ٢٤٣ هـ الذي امتهنا لشعر فأصبح جل بضعته لذلك قال دعبل: لو تكسب إبراهيم بن العباس بالشعر لتركنا في غير شيء، ويقول المسعودي: لا يعلم فيمن تقدم وتأخر من الكتاب أشعر منه، وكان يدعي خؤولة العباس ابن الأحنف، وقد اجتمع الصولي مع هارون بن الزيات وابن برد الخباز في مجلس عبيد الله بن سليمان، فجعل الصولي ينشد من شعر أبيه ومحاسنه ويفضله ويقدمه(٢).
- أبو الحسن أحمد بن يحيي الملقب بالبلاذري ت ٢٧٩ هـ الذي اهتم بتعليم غيره للشعر من خلال مجالس الأمراء الوزراء فيقول: كنت من جلساء المستعين بالله وقد قصدته بالشعر فرجعت وقد بعث إلى سبعة آلاف دينار وقال ادخر هذا للحوادث بعدي، ولك الجراية والكفاية ما دمت حيا(٣).

(١) معجم الأدباء ٢ / ١٣٩، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٨١، معجم المؤلفين ٢ / ٢٢٧، إنباه الرواة ١ / ٢٥١، سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٢، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٢ / ٢٨١.
(٢) معجم الأدباء ١ / ١١٦، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٩، الأصفهاني، مرجع سابق ٩ / ٢٠.
(٣) معجم الأدباء ٢ / ٤٩، الزركلي ١ / ٢٦٧.

- أبو الهيذام كلاب بن حمزة العقيلي ت ٢٩٠ هـ الذي كان معلما بحضرة القاسم بن عبيد فقد تعلم الشعر منه الكثير من ندماء مجالسه، فهو عالم بالشعر وخطه معروف، وقد دخل بغداد أيام القاسم بن عبيد ت ٢٩١ هـ فمدحه بعدة قصائد(١).

وقد استمر دور مجالس الأمراء والوزراء في التعليم لأهل هذه المجالس في القرن الرابع الهجري، ومن أشهر المجالس في ذلك القرن والتي تظهر من خلال تراجم ياقوت لهؤلاء العلماء:

- أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن سنان التنوخي ت ٣١٨ هـ الذي اهتم بحضور مجالس الأمراء والوزراء للسماع من العلماء والتزود من المعرفة، فقد كان موكب القاضي أبي جعفر يحضر بالسواد ويجلس معه العلماء يتذاكرون الشعر والأدب والعلم، حتى يجتمع عليهم من الخدم عدد كبير يسمعون العلم(٢).

ومنه نلاحظ أن هؤلاء مثلهم في زماننا مثل من يجلسون في بعض المقاهي ليلا لإسماع العامة قصص الغابرين وأخبار الأوائل مثل قصة أبي زيد الهلالي وقصة عنترة، وسيف بن ذي يزن، وذات الهمة، وغيرها من القصص التي يستفيد منها العامة في الشجاعة والكرم والإقبال.

- أبو الفرج قدامة بن جعفر الملقب بالكاتب ت ٣٣٧ هـ الذي تعلم من خلال مجالس الوزراء التي قامت بدورها التربوي والتعليمي، فقد جمعت العلماء حول الأمراء والوزراء في مجالسهم، وقد قال أبو حيان التوحيدي: آخر ما علمنا من أمر قدامة أنه حضر مجلس الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات، وقت مناظرة أبي سعيد السيرافي ومتى المنطقي سنة ٣٢٠ هـ وقد تعلم منهم(٣).

---

(١) معجم الأدباء ٥ / ١٤، الزركلي ٥ / ٢٢٩.
(٢) معجم المؤلفين ١ / ١٦٠، سير أعلام النبلاء ٩ / ٢٧٠، الوافي بالوفيات ٥ / ١٢٠.
(٣) معجم الأدباء ٥ / ٨، معجم المؤلفين ٣ / ١٤٢، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٣ / ٢٩٧.

- أبو علي أحمد بن نصر الملقب بالبازيار ت ٣٥٢ هـ الذي تعلم من مجالس الأمراء، ففي رواية أبو جعفر بن قناس صاحب كتاب القضاة قال: كنا بحضرة سيف الدولة، وكان يحضر معنا البازيار، فقد كان والده من ندماء سيف الدولة،وبذلك شب البازيار على التعليم وكان حسن المحاضرة مشهور بين العلماء(١).

ومنه نلاحظ أن التلاميذ تعلموا عن طريق حضورهم مجالس الأمراء والوزراء.

- أبو علي المحسن بن علي التنوخي ت ٣٨٤ هـ ببغداد الذي اهتم بحضور مجالس الأمراء والوزراء لما يدور بها من حوار ومناقشات بين العلماء في شتى أنواع العلوم من فقه وحديث واستشهاد بآيات القرآن الكريم، فيقول التنوخي: جئت إلى حضرة القاضي لأتقدم إلى أبي السائب، وكانت سني يومئذ عشرين سنة(٢).
- أبو القاسم، الحسين بن الوليد ويغلب عليه ابن العريف ت ٣٩٠ هـ الذي تعلم من خلال التقاء العلماء في مجالس الوزراء والأمراء، بل كان يتعلم بذلك الحاضرون، وكان الأمراء والوزراء يشهدون ذلك فقد كان المنصور يحضر المجالس التي يتعلم منها ابن العريف،ومعتقدمه كان من ندماء المنصور، فقد جلس المنصور يوما وعنده من أعيان أهل العلم الزبيدي صاحب الطبقات والعاصمي، وابن العريف صاحب الترجمة(٣).

ومنه نلاحظ أن الطلاب كانوا يتعلمون من خلال مجالس الأمراء والوزراء التي كانت تجمع الكثير من العلماء، يتحدث كل منهم بما لديه من علوم تخصص فيها.

- أبو الفضل، جعفر بن الفضل والمعروف بابن حنزابة ت ٣٩١ هـ الذي اهتم بإقامة مجالس العلم في حضرته، يتعلم من خلالها طلاب العلم بل والعامة(٤)، ففي رواية الحافظ أبي القاسم قال: ذكر بعض أهل العلم وأظنه محمد بن أبي نصر الحميد قال: إن

(١) معجم الأدباء ٢ / ٤٤، معجم المؤلفين ٢ / ١٤٩، ابن النديم، مرجع سابق ١ / ١٣١.
(٢) معجم الأدباء ٥ / ٦٥، الخطيب البغدادي، مرجع سابق ١٢ / ٧٧، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٣٥٣.
(٣) معجم الأدباء ٣ / ٢١٠، معجم المؤلفين ٤ / ٦٧، الزركلي ٢ / ٢٦١.
(٤) معجم الأدباء ٢ / ٣٧٩، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٣٤٦.

الوزير أبا الفضل بن حنزابة، حدث بمصر، مجالس إملاء خرجها الدارقطني، وعبد الغني بن سعيد، وكانا من كاتبيه ومخرجيه، فكان مكرما لأهل العلم (١).

ومنه نلاحظ أن استخدام عبارة مجالس الأمراء والوزراء كمدارس للتعليم في تلك الفترة التي عاشها ابن حنزابة استخدام صحيح، فقد كان العلماء يلتقون للكتابة والمناظرة

وقد ظل هذا الدور التعليمي لمجالس الأمراء والوزراء مستمرا في القرن الخامس الهجري، ومن هذه المجالس التي تعلم من خلالها الطلاب، وأوردها ياقوت في تراجم بعض العلماء ومن هؤلاء:

- أبو الحسن أحمد بن علي البتي الكاتب ت ٤٠٣ هـ الذي نادم الوزراء، فكان لا يكمل أنسهم إلا بحضوره ولذلك حضر مجلس بهاء الدولة في جملة الندماء،ونفق (راج رواجا) عنده نفاقا لا مزيد عليه، ولم يكن لأحد من الرؤساء مسرة تتم، ولا أنس يكمل إلا بحضوره فكانوا يتداولونه ولا يفارقونه (٢).

وقد استمر هذا الدور لمجالس الأمراء والوزراء في القرن السادس الهجري:

- أبو جعفر محمد بن أحمد بن طاهر ت ٥١٠ هـ الذي قال أنشأ أمراء ووزراء ذلك القرن أماكن للتعليم أطلقوا عليها مجالس الأمراء والوزراء، وأطلقوا عليها مرة أخرى، دار العلم التي أسهمت في التعليم ولعبت دورا تربويا في العليم، وكان توقف عليها كتب العلماء التي يرسلونها إلى مثل هذه الدور، وقد أقام أبو منصور بوظيفة الخازن لكتب في دار العلم ففي رواية أبي الحسن محمد بن الصابئ قال: كان بدار العلم التي وقفها سابور بن أردشير الوزير، خازنا عرف باسم أبي منصور، كان يعلم ويحفظ الكتب (٣).

- أبو الحسين أحمد بن علي الملقب بالرشيد الأسواني المصري ت ٥٦٢ هـ الذي تقدم عند أمراء مصر ووزرائها، وقد اجتمع ليلة عند الصالح بن زريك، هو وجماعة من الفضلاء

(١) الخطيب البغدادي، مرجع سابق ٥ / ٢٧٥، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٤ / ٢١٤.
(٢) معجم الأدباء ١ / ٤٨٢، معجم البلدان ٢ / ٥٥، اللباب ١ / ٩٧، الزركلي، مرجع سابق ١ / ١٧١.
(٣) معجم الأدباء ٥ / ١٨٠.

فألقى عليهم مسألة في اللغة، فلم يجب عنها بالصواب سواه، فأعجب به الصالح فقال الرشيد: ما سئلت قط عن مسألة إلا وجدتني أتوقد فهما(١).

- أبو محمد إسماعيل بن موهوب الملقب بالجواليقي ت ٥٧٥ هـ الذي كان من علماء مجالس الأمراء التي أفاد الطلاب من خلالها الكثير، ففي رواية محمد بن فطير، ناظر واسط والبصرة قال إنه دخل يوما إلى بعض الوزراء في أيام المستضيئ بالله، فرأى في مجلسه الذي كان يجلسه رجلا لم يعرفه فهابه،ثم جلس بين يدي الوزير، وأخبره بشأن هذا الرجل فقال له: هذا هو الشيخ أبو محمد الجواليقي، فقام مبادرا وقال له: أيها الشيخ ينبغي أن تجلس هنا (مشيرا إلى مكان مرتفع) فأنت أعلى منهم منزلة، ثم تحدث الشيخ إليهم(٢).

ومنه نلاحظ علو منزلة العلماء بعلمهم، وإفادتهم للناس عن طريق تعليمهم إياهم لهذه العلوم من خلال مجالس الأمراء والوزراء.

- أبو الفرج محمد بن أحمد الملقب بشرف الكتاب ت ٥٧٩ هـ الذي ذكر أن مجالس الأمراء والوزراء لعبت دورا تربويا هاما في تعليم العامة من أفراد المجتمع عن طريق استحضار العلماء الأجلاء، لكي يفقهوا ويؤدبوا هؤلاء من خلال هذه المجالس، ففي رواية أبي علي القيلوي قال: سمعت شرح الكتاب يحدث أنه كان يوما في مجلس الوزير (عون الدين بن هبيرة) وقد اجتمع الناس عنده فشغلت بهم عن درس العلماء، لأن دخولهم كان من باب العامة(٣).

- أبو عبد الله محمد بن محمد الملقب بالعماد الكاتب الأصفهاني ت ٥٩٧ هـ الذي لزم باب السلطان صلاح الدين (كناية عن كثرة حضور مجالسه)، فكان ينزل لنزوله

(١) معجم الأدباء ١ / ٥٢٣، معجم المؤلفين ١ / ٣١٥، الزركلي ١ / ١٧٣، الأدفوي، مرجع سابق ص ص ٤٧ - ٥٠، ابن العماد، مرجع سابق ٤ / ١٩٨ - ٢٠٣، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٥ / ٣٧٤.

(٢) معجم الأدباء ٢ / ٣١٣، سير أعلام النبلاء ٢ / ١٦٦، اللباب ١ / ٢٤٥، ابن العماد، مرجع سابق ٤ / ١٢٨، الوافي بالوفيات ٦ / ١٥٧.

(٣) معجم الأدباء ٤ / ١٥٦، بغية الوعاة ص ٤١٣.

ويرحل لرحيله ولم يترك مجالسه، بل كان ملازما لخدمته حتى قربه واعتمد، فقد قدم بغداد حدثا فتأدب وتفقه بها(١).

والخلاصة: لقد خلص الباحث مما سق عرضه أن مجالس الأمراء والوزراء كانت بمثابة أماكن للتعليم، وذلك عن طريق حضور الكثير من العلماء إلى هذه المجالس بهدف نشر العلم بين المتعلمين، أو بهدف سطوع نجم العالم بين أقرانه من العلم، وأخيرا بسبب الحصول على المكافأة والمال وإن كان ذلك هو الأكثر شيوعا، ومن خلال هذه المجالس تأدب الصبيان عن طريق الحضور مع أولياء أمورهم، ولم تقتصر هذه المجالس على علم واحد من العلوم، وإنما كانت المناظرة بين العلماء في شتى أنواع العلوم، كما لم يقتصر التعليم في هذه المجالس على أبناء الأمراء والوزراء،بل كان التعليم بها مشاعا لعامة أفراد المجتمع.

استدراك:

لاحظ الباحث من خلال استقرائه لما أورده ياقوت في كتاب " معجم الأدباء " عن مجالس الأمراء والوزراء أنه أغفل وعن غير عمد كعادته مجلس قاضي القضاة في مصر والذي كان يعقد في دار الحكمة.

وقد أنشئت بعد إنشاء الجامع الأزهر بخمس وثلاثين عاما، وفي عهد الحاكم بأمر الله في سنة ٣٩٥ هـ (أي في القرن الرابع الهجري) وكانت المجالس التي تعقد بها تسمى مجالس الحكمة والتي ينظمها قاضي القضاة، وتقرأ فيها الكثير من العلوم، ويهرع الناس إلى شهودها، وتخصص فيها مجالس للخاصة، ومجالس للعامة وأخرى للنساء، ولكن الحاكم بأمر الله رأى أن تكون هذه المجالس أوسع وأن تنظم فيها مجالس دينية وعلمية متصلة يجمعها معهد رسمي، فأنشئت دار تسمى دار العلم، وكان دار الحكمة في البداية طابعا حرا، فدعي إليها الأساتذة من المذهبين السني والشافعي، وقرئت بها فضائل

(١) معجم الأدباء ٥ / ٤٢٤، معجم المؤلفين ١١ / ٢٠٤، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٦ / ١٧٨.

الصحابة، ثم أبعد عنها الأساتذة السنيون فيما بعد، وقتل بعضهم، وتأكد بذلك صفتها المذهبية، وكان الإشراف على مجالس الحكمة من شئون قاضي القضاة.

ولكنها لما اتسع طاقها بقيام التعليم، عهد بها إلى زعيم ديني يسمى داعي الدعاة،وبذلك كانت دار الحكمة في ظاهرها جامعة حرة علنية، يلتحق بها من يشاء ويدرس ما شاء من مختلف العلوم والفنون، وفي الحقيقة فإن هذا المظهر العلمي لم يكن في الواقع إلا ستارا للغاية الأصلية التي أنشئت دار الحكمة لتحقيقها وهي بث الدعوة الفاطمية بطريقة علمية منظمة تمتزج فيها النظريات والآراء الفلسفية بالأصول والمبادئ المذهبية، وتكون أبعد أثرا في غزو الأذهان والعقائد من مجالس القصر، وبذا تجتمع جهود الدعاة في مركز رئيسي يحشد فيه المؤمنون من كل صوب، ليقوموا فيما بعد بقسطهم في حمل الدعوة وبثها في سائر المجتمعات والأنحاء، واستطاعت دار الحكمة في ظل الرعاية الرسمية أن تنمو بسرعة، ولم يمض سوى حتى ازدهرت وهرع إليها الطلاب من سائر الأقطار(١).

وقد استمر التعليم من خلال الديار المصرية في القرن السادس، فقد ذكر ياقوت في ترجمة أبي العلاء علي بن عبد الرحيم المعروف بابن العصار اللغوي ت ٥٧٦ هـ قال: كانت الديار المصرية بمثابة أماكن للتعليم في ذلك القرن يلتقي فيها الطلاب مع أساتذتهم، فقد سافر الكثير من طلاب العلم إلى الديار المصرية من مختلف البلدان الإسلامية وأخذوا عن أهلها وروى عنهم مثل أبو العلاء العصار الذي تعلم من خلال الديار المصرية.

وقد اتخذ الطلاب من دار الخلافة ببغداد أماكن للتعليم والإفادة منها والإقامة بها فقد ورد أبو العلاء بن العصار بغداد فقرأ بها العلم، وأقام بالمطبق من دار الخلافة.

---

(١) سعيد إسماعيل علي، رؤية إسلامية لقضايا تربوية، (القاهرة: دار الفكر العربي ١٩٩٣) ص ص ٩٥ - ٩٩ وسعيد إسماعيل علي، الأزهر على مسرح الأحداث العصرية، (القاهرة، دار الثقافة، ١٩٧٤) ص ٣٠، محمد عبد الله عنان تاريخ الجامع الأزهر (القاهرة مؤسسة الخانجي ١٩٥٨) ص ٥١. خطاب عطية علي، التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول، (القاهرة: دار الفكر العربي ١٩٤٧) ص ١٧٧.

سادسا: أماكن الحروب (الرباط، الخوانق)

ذكر ياقوت من بين أماكن التعليم التي قامت بدور تعليمي تجاه العامة من أفراد المجتمع أماكن الحروب ومواطنه، وقبل أن نتحدث عما أورد ياقوت نذكر معنى كل من الأربطة والخوانق:

- **الأربطة**: مفردها رباط، بني أصلا بغاية المرابطة للجهاد، وملازمة ثغر العدو، والإقامة على جهاده، ثم أخذ يطلق على هذا المكان الذي يرابط في الصوفية للعبادة والانقطاع إلى الله تعالى والتوبة ومجاهدة النفس والحد من شهواتها، ثم تطور الهدف من الرباط وأصبح مأوى للعاجزين والنساء المطلقات أو المهجورات، واليتامى والفقراء والمساكين ومسكنا للفقهاء، وأحيانا لكبار العلماء وأصبحت الربط تؤدي خدمات اجتماعية ودينية وثقافية، كالوعظ والإقراء والتحدث، والسماع والإفتاء ومنح الإجازات العلمية وتصنيف الكتب(١).
- **الخوانق**: مفردها الخانقاه وهو رباط الصوفية وموطن تواجدهم، وكانت تبنى غالبا على شكل مساجد للصلاة، وتحتوي على غرف عديدة لمبيت الفقراء والصوفية، وبيتا كبيرا لصلاتهم ولا يكون فيه منبر، لأن صلاة الجمعة لا تقام فيها إلا نادرا، وكان يرتب فيها دروس لطوائف الفقهاء،ودروس الحديث النبوي، ودروس لقراءة القرآن بالقراءات وجعل فيها مدرسين وخصص مدرس لكل مجموعة من الطلاب، وكان يوفر للطلاب الطعام والشراب(٢).

وقد ذكر ياقوت أهمية الرباط في التقاء العلماء بأهله وأهل الثغر، وفي القرن الثاني الهجري ذكر من العلماء:

---

(١) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط الخزء الأول، (لبنان: دار إحياء التراث، د. ت) ص ٣٢٣، وسعيد إسماعيل علي،معاهد التربية الإسلامية ص ٥٩٥.

(٢) عبدالغني عبد العاطي، التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٤) ص ١٦٨، عبد الله عبد الدايم، التربية عبر التاريخ، الطبعة الثالثة، (بيروت، دار العلم للملايين ١٩٧٨) ص ١٦٠.

- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفزاري الكوفي ت ١٨٨ هـ الذي أدب أهل الثغر وعلمهم الحديث، حتى أنه كان إذا دخل الثغر رجل مبتدع (يزيد في الدين وينقص) أخرجه[١]

ومنه نلاحظ أن العلماء والأدباء لم يتركوا مكانا يسمح بالتعليم إلا وقدموا إلى من حضر فيه من طلاب العلم الكثير من علومهم، مثلما يحدث الآن من التقاء العلماء بالشباب من حين لآخر.

وفي القرن الثالث الهجري، كان التعليم يتم أثناء ليالي الحرب، فقد ذكر ياقوت في ترجمة أحمد بن الطيب المعروف بابن الفرائقي ت ٢٨٦ هـ قال: كان المعتضد مجتازا بعسكره، فأخذ الجيش في طريقه، فأنكر الناس ذلك، وكان معهم ابن الفرائقي يقول فجلست أحادث المعتضد ليلة، فقال لي: يا عبدالله ماذا تقول الناس عني ؟ قلت له سراعك في سفك الدماء، وظللت أعلمه طوال هذه الليالي حتى قال: والله ما هرقت (أرقت) دما منذ ذلك[٢].

ومنه نلاحظ أن أماكن الحرب كانت بمثابة مؤسسة تعليمية يجلس فيها العلماء مع القادة والجنود يعلموهم، وذلك يشبه ما يحدث الآن حينما يسافر بعض العلماء إلى أماكن تجمع القوات المسلحة ليوضحوا لهم بعض الأمور الدينية التي تحفزهم لصالح الوطن والأرض متخذا من العرض طريقا،وكذلك ما يحدث من العلماء تجاه التجمعات الشبابية في أماكن المعسكرات الصيفية، والندوات العلمية التي يعقدها العلماء.

ولم يذكر ياقوت شيئا عن القرن الرابع الهجري، وإنما ذكر بعض النماذج التي حدثت في القرن الخامس، ففي ترجمته لأبي القاسم المحسن بن الحسين الملقب بكوجك ت ٤١٦ هـ ذكر في رواية ابن طلاب قال: حضرنا مع أبي القاسم كوجك في محرس (حصن) بمدينة صيدا فقام ابن كوجك، فأنشدنا شعرا،وأنشد الحاضرون،وفيه قبة أسماء من حضرها وأشعارهم[٣].

(١) معجم الأدباء ١ / ١٣٤، معجم المؤلفين ١ / ٩٠، سير أعلام النبلاء ٦ / ٢٩٣.
(٢) معجم الأدباء ١ / ٣٩٣.
(٣) المرجع السابق ٥ /٦٢، معجم المؤلفين ٨ / ١٨٢.

ومنه نلاحظ أن العلماء اتخذوا من أماكن الرباط والحروب أماكن للتعليم يدلي فيها كل بدلوه، ثم تترك لوحة الشرف، وعليها أسماء العلماء، وما كتبوه من أشعار تخليدا لهم، وقد تحدث النعيمي عن الأربطة والزوايا والخوانق، وأفرد لكل منهم فصل خاص وقد ترك الباحث إيراد ذلك لعدم الإطالة ولمن يرد الإطلاع يمكنه الرجوع إلى الدارس في تاريخ المدارس.

سابعا: الأسواق:

كانت الأسواق التي كانت تقام في البلدان الإسلامية، بل وفي العصور الجاهلية أكبر الأثر في تربية النشء، حيث كانوا يجتمعون للتجارة، ويغتنمون أوقات هذه المواسم فيقيمون مجالس البحث والمناشدة والمفاخرة، فتتلى القصائد والخطب، وتنشط الروح الفكرية والأدبية ولذلك كانت الأسواق مجالا خصبا للتعليم من خلالها للعامة والخاصة.

وقد ذكر ياقوت في كتابه " معجم الأدباء " من الأسواق التي قامت بتهذيب لغة النشء وتوحيد لهجاته في القرن الرابع الهجري:

- سوق يحيي: ففي ترجمة أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ أنه في رواية أبي بكر ابن كامل قال: قال الطبري: وصف لي قارئ بسوق يحيي فجئت إليه وتقدمت عنده، فقرأ عليه من أول سورة البقرة حتى بلغت قوله تعالى:

{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً .... }(١)

وأردت أن أسمعه منفردا فأبى إلا أن يسمعها مع الناس(٢).

ومنه نلاحظ أن الأسواق التي كان يجتمع الناس بها لقضاء حاجاتهم تعد من الأماكن التي تقوم بدور هام في تعليم العامة بل وطلاب العلم، وكانت الأسواق منذ العصر الجاهلي تقوم بهذا الدور حيث سوق عكاظ وسوق ذي المجاز، وسوق مجنة، وغيرها من

(١) سورة البقرة : من الآية ٢٦.

(٢) معجم الأدباء ٥ / ٢٥٩، ميزان الاعتدال ٣ / ٣٥، اللباب ٢ /٨١، تذكرة الحفاظ ٢ / ٣٥١، ابن العماد، مرجع سابق ٢ / ٢٦٠، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٣ / ٢٠٥.

الأسواق التي عهدت بتهذيب لغة النشء عن طريق الندوات التي تعقد بها، وأحيانا كانت هذه الأسواق تقوم بدور واضح في الخدمة الاجتماعية عن طريق حل المنازعات القائمة بين القبائل، بل أحيانا يعقد فيها قران (عقد) زواج.

وكانت العلوم التي تدرس وتنشد في الأسواق تعتمد على المناظرة فقد بلغ من اتساع مناظرة طويلة ثارت في سوق الوراقين بين طائفة من المفكرين المتفلسفين وبين أحد إخوان الصفا المسمى: المقدسي وكان موضوعها الصلة بين الفلسفة والدين(١).

ومن الندوات المشهورة في القرن الرابع الهجري، ندوة أبي سليمان المنطقي السجستاني ت ٢٤٨ هـ فهو من كبار علماء اللغة والشعر،وصاحب كتاب صوان الحكمة ومن تلامذة الفارابي، وقد امتاز بعقل خصب نادر، وكانت ندوته تدور حول شعب الفكر في الإلهيات والطبيعيات والنفس والروح والأخلاق وكذلك الحوار في المسائل الكثيرة التي كانت تدار في هذه الندوات، وبجانبها كانت ندوة ابن سعدان، وكأننا إزاء مصانع مستحدثة كانت تصنع الأفكار المتفلسفة صناعة غريبة عجيبة، مما أتاح بحق لبغداد أن تعظم منزلتها العلمية وأن يحج إليها العلماء(٢).

ولأهمية الأسواق في نشر الأدب والعلم، كانت تقام في منطقة البحرين (منطقة قبائل عبد قيس، وتميم قديما) أسواق الأدب مثل: سوق هجر، وسوق دارين، ولذلك أنجبت عبد قيس في الجاهلية، وأنجبت في العصر الإسلامي أكثر من شاعر وخطيب، الذين أشاد بهم العلماء، ولكن حينما استولى القرامطة على البحرين خمدت الحركة العلمية فيها، غير أنها أخذت تنتعش سريعا في زمن بني عصفور وبني جبر فكانت أسواقهم تقوم على الدراسات العلمية والدينية، والدراسات اللغوية، فقد وقف علماء اللغة أنفسهم على

(١) أبو حيان التوحيدي، مرجع سابق ٢ / ٣.
(٢) معجم المؤلفين ٤ / ٢٨٥، الوافي بالوفيات ١٤ / ٥، سير أعلام النبلاء ٨ / ٢٠٦، ابن خلكان، مرجع سابق٢/ ٤٣٢، الزركلي، مرجع سابق ٣ / ١٤٣.

تلقين الشريعة والعلوم اللغوية للناشئة وتفقه الناس بأمور دينهم ووعظهم، وقد ظلت هذه الحركة العلمية نشطة حتى العصور الأخيرة(١).

والخلاصة:

أن الأسواق قامت بدور تعليمي إيجابي تجاه العامة والخاصة من طلاب العلم واعتمدت في تعليم الطلاب على المناظرات والمناقشات،في العلوم الدينية والعلوم اللغوية ومن هذه الأسواق في العصر الجاهلي: سوق عكاظ، وسوق ذي المجاز، وسوق مجنة، وفي العصر الإسلامي وبالتحديد في القرن الرابع الهجري كانت: سوق يحيي، وسوق الوراقين وسوق هجر، وسوق دارين، ومن أهم الندوات في ذلك القرن، ندوة السجستاني، وندوة ابن سعدان.

ثامنا: الشوارع والطرقات العامة

ذكر ياقوت أن الشوارع والطرقات قامت بدور تعليمي تجاه طلاب العلم وعلى وجه الخصوص هؤلاء الطلاب الذين لا يمكنهم الحضور إلى العلماء، وقد ظهر ذلك الدور التعليمي للطرقات العامة كواحدة من أماكن التعليم منذ القرن الثاني الهجري ومن الطلاب التي تعلموا من الطرقات:

- أبو الحسن لي بن الحسن الأحمر صاحب الكسائي ت ١٩٤ هـ الذي كان من الجند على باب الرشيد، ولا يقدر على حضور مجالس الكسائي،فكان يرصد مصير؛ إلى الرشيد ويعرض عليه في طريقه كل يوم، فإذا أقبل تلقاه وماشاه يسأله في طريقه المسألة تلو المسألة، وإذا خرج الكسائي من الدار ماشاه ليسأله حتى يركب دابته، ولم يزل كذلك يتعلم المسألة بعد المسألة حتى قوي وتمكن من علمه(٢).

ومنه نلاحظ أن الطلاب كانوا يأخذون عن العلماء في مجالسهم، فإذا لم يتيسر لهم ذلك، التقوا بهم في الطرقات لكي يسألونهم ويتعلموا منهم، خاصة إذا كان لهؤلاء الطلاب

(١) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي ص ٢٨١، معجم الأدباء ٣ / ٩٤، شوقي ضيف، المرجع السابق ص ٥٦.
(٢) معجم الأدباء ٤ / ٣، إنباه الرواة ٣١٣/٢،ميزان الاعتدال ٤ / ٢١٨، الخطيب البغدادي، مرجع سابق ١٢ / ١٠٤.

عمل يمنعهم من الحضور إلى العلماء، كما يتضح لنا تدرج التعليم فما زال الأحمر يتدرج في المعرفة حتى نبغ وتفوق في علمه، فلقد عده أصحابه بأنه شيخ النحاة في عصره، وقد حصل ذلك كله عن طريق مناقشة أستاذه الكسائي في الطرقات العامة.

ومن هؤلاء الطلاب في القرن الرابع الهجري الذين أصبحوا علماء نتداول علومهم:

- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ الذي كتب الكثير من العلوم في طريقه عن شيوخ واسط، وفي رحلته إلى الكوفة كتب عن شيوخ في طريقه إليها ومنهم (أبي كريب محمد ابن العلاء الهمذاني ت ٢٤٨ هـ وكتب في طريقه عن مشايخ أجناد الشام والسواحل والثغور وأكثر منها(١).

وقد قامت المزارع والبساتين بهذا الدور في القرن الرابع الهجري، فقد تعلم من خلالها أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد الملقب بالمقرئ ت ٣٢٤ هـ الذي حضر مع جماعة من أهل العلم في بستان لمدارسة العلوم، وقال: هي كالتخالع في المساجد(٢).

ومنه نلاحظ أن طلاب العلم لم يتركوا مكانا إلا واتخذوه كمكان للتعليم.

ومن العلماء الذين اتخذوا من الشوارع أماكن للتعليم في ذلك القرن:

- أبو بكر أحمد بن كامل الملقب بالقاضي ت ٣٥٠ هـ الذي كان ينزل بشارع عبد الصمد ببغداد لتعليم العامة(٣).

ومنه نلاحظ أن التعليم لم يقتصر على الأماكن المعهودة مثل المساجد والمدارس ومجالس العلماء، بل تعداه إلى استخدام الشوارع بالمدن كأماكن للتعليم، وقد يقصد به محو الأمية، غير أنه في الوقت الحاضر يتم بطريقة منظمة، وتنفق الدولة عليه، أما هؤلاء العلماء فكان هدفهم الإصلاح ونشر العلم بين جميع طبقات المجتمع.

---

(١) معجم الأدباء ٥ / ٢٤٨، الكامل في التاريخ ٨ / ٤٢. ابن تغري بردي، مرجع سابق ٣ / ٢٠٥.
(٢) معجم الأدباء ٢ / ٣٩، معجم المؤلفين ٢ / ١٨٨، سير أعلام النبلاء ١٠ / ٦٦، الزركلي، مرجع سابق ١ / ٢٦١.
(٣) معجم الأدباء ١ / ٥٤٧، الزركلي، مرجع سابق ١ / ١٩٩.

والخلاصة:

يتضح لنا من العرض السابق أن الأماكن العامة من الشوارع والطرقات لعبت دورا هاما في تعليم العامة والخاصة، عن طريق المناقشة التي تحدث بين المتعلمين والعلماء.

تاسعا: أماكن التجارة:

ساهمت أماكن التجارة في نقل المعرفة إلى الطلاب، وذلك عن طريق حضور العلماء إلى أماكن التجارة، وقد تكون التجارة في كتب العلماء، وبذلك يستطيع الخازن لهذه الكتب أن يثقف نفسه بالاطلاع على هذه الكتب،وقد ظهر دور أماكن التجارة في التعليم في القرن الرابع الهجري، ومن الطلاب الذين تعلموا عن طريقها:

- أبو الحسين علي بن عبد الله الملقب بالناشئ الحلاء ت ٣٦٥ هـ الذي تعلم من خلال أماكن التجارة فيقول: كان جدي وصيف مملوكا، وكان ابن عطار في الحضرة بالجانب الشرقي، وكنت لما نشأت معه في دكانه، فكان ابن الرومي يجلس عندنا وأنا لا أعرفه وهو يتدارس مع والدي الكثير من العلوم، ثم انقطع مدة فسألت عنه والدي، فقال: ويحك ذلك ابن الرومي، وقد مات، فندمت إن لم أكن أخذت عنه شيئا(١).

وفي القرنين الخامس والسادس الهجريين، تعلم الكثير من خلال أماكن التجارة:

- أحمد بن كليب النحوي صاحب أسلم الأندلسي ت ٤٢٦ هـ، ففي رواية يحيي الكندي الحراني قال: حدثني أبو بكر الصنوبري قال: كان بالرها (مكان ببغداد) وراق يقال له سعد كان حسن الأدب والفهم، يعمل شعرا رقيقا، وكان في دكانه مجلس لكل أديب وما كنا نفارق دكانه(٢).

(١) معجم الأدباء ٤ /١٤٤، معجم المؤلفين ٧ / ١٤٢، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٣٥٤، الزركلي ٤ / ٣٠٤.
(٢) معجم الأدباء ١ / ٥٥٥.

- أبو المظفر محمد بن أحمد الأبيوردي الكوفني ت ٥٠٧ هـ الذي اتخذ من أماكن العمل مدادا للتعليم، وطريقا يسلكه لكي يحصل منه على المعرفة والعلم فقد كان أبو المظفر قد ولى خزن خزانة الكتب بنظامية بغداد بعد القاضي أبي يوسف الأسفراييني (١).

ومنه نلاحظ أن أماكن التجارة قامت بدور المؤسسات التعليمية ولكنها غير معهودة للكثير، ولكن لاحظنا التقاء العلماء وطلاب العلم في الدكاكين المخصصة للتجارة ولم يكن التعليم فيها على طلاب العلم فقط بل كان العامة من الناس يحضرون إلى هذه الأماكن،وقامت بذلك الدور المكتبات فمن خلالها كان الخازن أو العامل بها يقوم بتثقيف نفسه من خلال هذه الكتب التي بين يديه والتي تحوي أبكار بنات عقول هؤلاء العلماء وذلك يشبه الثقافة العمالية ومحو أمية العامل بما يتناسب مع ظروف الحياة العصرية ولذلك فقد لعبت المكتبات دورا إيجابيا في التعليممما جعل الوزراء والسلاطين يهتمون بالمكتبات الخاصة والعامة وألحق بكل مدرسة مكتبة كبيرة تغص بالكتب في كل علم وفن وكان هذا الاهتمام من قبل الأفراد والدولة، حيث أن المكتبات هي أداة الثقافة ومنهل المجتمع العذب ينهل منها كل من يريد المعرفة والتزود من العلم وظل الاهتمام بها متواصل حتى العصر الحاضر، لأن المكتبات الإسلامية تعتبر من أهم المؤسسات الثقافية التي يفخر بها الإسلام والتي كان لها دور كبير جدا في نشر المعرفة والثقافة بين المسلمين أنفسهم فانتقلت آثارها إلى ديار الغرب، وظهرت المكتبات في الإسلام، وتطورت نتيجة لانتشار العلم والمعرفة في العالم الإسلامي، فالمكتبات في الإسلام هي كائنات حية انبثقت عن المجتمع الذي وجدت فيه نتيجة لتطور وحاجته إليها، وهي في الوقت نفسه ساعدت كل المساعدة على تطور هذا المجتمع، ودفعه في طريق الرقي والنجاح والفلاح، إذن فالمكتبات

(١) معجم الأدباء ٥ / ١٦١، معجم المؤلفين ٨ / ٣١٤، ابن العماد، مرجع سابق ٤ / ٦٢، السبكي، مرجع سابق ٤ / ٦٢ ، الزركلي، مرجع سابق ٥ / ٣١٦.

الإسلامية مرآة تنعكس فيها حياة المسلمين وتظهر فيها الحياة واضحة صافية مشرقة وفي جميع جوانبها.

كما أن المكتبات هي نفسها نتاج تفاعل هذه الحياة، وقد نشأت مع نشأة المساجد، وأولى المكتبات كانت بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان يجتمع فيه ما يدون من التنزيل الحكيم، ثم نقلت الصحب إلى بيت أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) بعد أن جمعت في مصحف على يد زيد بن ثابت (رضي الله عنه) أحد كبار كتاب الوحي وحفاظه، ثم نقلت الصحف إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وبقيت عند حفصة (رضي الله عنها) إلى أن استعارها عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ونسخ عنها المصاحف وأرسلها إلى الأقطار الإسلامية ثم ردها إليها، وإلى جانب ذلك كان لبعض الصحابة والتابعين كتب في بيوتهم بمنزلة المكتبات الخاصة التي عرفت فيما بعد، وقد نشطت صناعة الورق لسد حاجات التأليف والعلماء وطلاب العلم وحاجات الدول.

ومن أشهر المكتبات التي قامت بدور تربوي تعليمي:

- دار الحكمة أو بيت الحكمة:

وقد رجح المؤرخون أن أول من أسس هذه الدار الجامعة لمختلف المؤلفات هو الخليفة هارون الرشيد ثم أمدها ابنه المأمون من بعده بالمؤلفات الكثيرة والدواوين الضخمة، حتى صارت من أكبر خزائن الكتب العصر العباسي وظلت هذه الخزانة قائمة يستفيد منها الرواد والعلماء وطلاب العلم إلى أن استولى المغول على بغداد سنة٦٥٦هـ(١).

- دار العلم:

وهي خزانة العبيديين بمصر ألحقها الحاكم العبيدي صاحب مصر بدار الحكمة التي أنشأها على غرار جامعات بغداد وقرطبة، وقد جمع فيها كتبا كثيرة، وأقام فيها الطلاب وجعل فيها ما يحتاج إليه المطالعون والنساخ من الحبر والمحابر والأقلام والورق

(١) سعيد إسماعيل علي، رؤية إسلامية لقضايا تربوية ص ٩٧، السبكي، مرجع سابق ٢ / ٢٢٠.

وقد كانت هذه الدار من أعظم الخزائن التي عرفها العالم الإسلامي فيما مضى، وأكثر جمعا للكتب وإفادة للطلاب والعامة(١).

- مكتبة قرطبة: لقد كثرت المكتبات في الأندلس، وبلغت نحو سبعين مكتبة سوى المكتبات الخاصة وأشهرها مكتبة قرطبة، التي أنشأها الأمويون ورعاها الخلفاء، وقد بلغت أوج ازدهارها في عهد المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ) وكان وكلائه يزيدونه بكل ما ينتجه العلماء المسلمون من المؤلفات، فقد جمعت أربعمائة ألف مجلد، وكثر الطلاب حول هذه المجلدات للإفادة(٢).

- المكتبة الحيدرية بالنجف بالعراق:

وقد اهتم بهذه المكتبة الأمراء والوزراء، ومن أشهر من اهتم بها قديما عضد الدولة البويهي ٣٧٢ هـ ومكتبة ابن سوار بالبصرة وأسسها أبو علي بن سوار، أحد رجال عضد الدولة البويهي، وفيها كتب كثيرة وكان طبيعيا منذ أوائل حكم البويهيين أن يشغفوا بالكتب وجمعها واتخاذ مكتبات خاصة لأنفسهم، وبجانب المكتبتين السابقتين كانت مكتبة وزير ابن العميد، وكانت أكبر من سابقتيها، ويقال أنها لو حملت ما استطاع أن يحملها إلا مائة بعير، واتخذ خازنا لها ابن مسكويه الفيلسوف المعروف والتي كانت سبا في نبوغه وتفوقه، ومكتبة الصاحب بن عباد وزير مؤيد الدولة بالري ويقال أنها كانت أضعاف مكتبة ابن العميد، حتى أن فهارسها كانت في عشرة مجلدات، بالإضافة إلى خزانة سابور، والتي أنشأها سابور بن أردشير بالكرخ وزيدها بكتب كثير وكانت مركزا ثقافيا هاما يلتقي فيه العلماء والباحثون للقراءة والمطالعة(٣).

---

(١) محمد عبد الله عنان، مرجع سابق ص ٥١.
(٢) تذكرة الحفاظ ٣ / ٢١٠.
(٣) معجم المؤلفين٩ / ٢٥٧،معجم الأدباء٢ / ٢٥٩،الزركلي ٦ / ٩٨،الوافي بالوفيات٢ / ٣٨٢،إنباه الرواة ١ / ٢٠١.

- مكتبات المدارس:

ألحقت المكتبات بالمؤسسات العلمية التي كثرت في المدن الإسلامية فقلما خلت مدرسة من المدارس من مكتبة كبيرة تتبعها، تزود بالنتاج الفكري الإسلامي الذي تفتح ونضج في تلك العصور، كمكتبة المدرسة النظامية ببغداد، ومكتبة المدرسة المستنصرية ببغداد كذلك، وقد سبق الحديث عنهما، وبناء المدارس انتشر في الإسلام انتشارا هائلا، وقد ألحقت بها كلها مكتبات(١).

- مكتبات البيمارستانات(٢) (المشافي أي المستشفيات):

كان من مآثر الإسلام الكبرى عنايته بالمرضى واهتمامه بعلاجهم، وإيجاد الأماكن اللازمة لمعالجتهم وتطبيبهم، وقد أنشأ الخلفاء والحكام المشافي في طول البلاد الإسلامية وعرضها، فقد أوجد عضد الدولة البويهي في القرن الرابع الهجري مارستانا في بغداد سمي باسمه، فظل فترة طويلة يستقبل المرضى ويهتم بهم، كذلك أنشأ نور الدين الشهيد في دمشق في القرن السادس الهجري مارستانا، وفعل ذلك ملوك المماليك وحكامهم في مصر وسورية، وقد ألحق بهذه المشافي مكتبات حافلة تضم ثمرات العقول، لأن المستشفى لم يكن مكانا للتطبيب والتمريض(٣) وإنما كانت مكانا لتعليم الطلاب وعلى وجه الخصوص طلاب كليات الطب، في معرفة الأمراض وطرق معالجتها، فكان البيمارستان مكانا للتدريب العملي ومكانا للدراسة النظرية، وقد بلغت بعض المكتبات الملحقة بالمشافي حدا ضخما فقد ذكر أن عدد الكتب التي وجدت في مستشفى قلاوون في القاهرة حوالي مائة ألف مجلد أخذت أغلبها من دار الحكمة في القاهرة(٤).

---

(١) ناجي معروف، مرجع سابق ١ / ٥٩ - ٦٥.
(٢) البيمارستان: يعني بيت المرضى.
(٣) صلاح أحمد الطنوبي، المكتبات في الإسلام، مجلة الوعي الإسلامي، العدد: ٢٧١، ١٩٨٧ ص ٥.
(٤) المرجع السابق ص ص ٥١، ٥٢.

تعقيب:

يتبين من خلال العرض السابق لأماكن التعليم والتعلم المختلفة والتي أوردها ياقوت في كتابه " معجم الأدباء " الدور البارز للمساجد والكتاتيب والمدارس ومجالس الأمراء والوزراء، والأسواق وأماكن التجارة، ومحال العمل والمكتبات والبيمارستانات في تربية وتعليم وتهذيب النشء.

فالمساجد وهي :

{ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ } (١)

تكتسب بذلك قدسية خاصة لدى المسلمين عامة ودورها قديما لا يخفى على كل ذي بصر وبصيرة، فقد حملت المساجد، مشاعل الهداية والتنوير بمعناه الحقيقي وأسهمت في نشر العلم والتعليم في جميع الأقطار الإسلامية الموجودة بها، وتحمل كتب السنة النبوية المطهرة الكثير من الآثار التي تبين حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقامة وحضور حلقات العلم بالمسجد، وفي العصر الحديث يلاحظ الباحث قصور دور المسجد التربوي ولا يكاد يرى سببا لهذا القصور.

والباحث يدعو إلى أن يعود للمسجد دوره التربوي التعليمي حتى تتقدم الأمة جمعاء، كما كانت متقدمة في الماضي، وحتى تتمكن القيم من نفوس الناس جميعا.

وقد تحدث الباحث عن المساجد التي قامت بدور تربوي كما أوردها ياقوت:

- **مساجد المدينة**، وتشمل: مسجد المدينة، ومسجد السبيع.
- **مساجد الكوفة**، ومنها: المسجد الجامع بها،
- **مساجد بغداد**، مثل مسجد ابن رعيان.

---

(١) سورة النور : من الآية ٣٦

- **مساجد دمشق**: مثل مسجد أبو عبيد القاسم بن سلام، ومسجد بني علان، ومسجد أبي بكر هشام بن معاوية الضرير، والمسجد المعلق، ومسجد بني أمية.
- **مساجد البصرة**: مثل جامع البصرة.
- **مساجد نيسابور**: مثل الجامع القديم،والجامع المنيعي.
- **المسجد الجامع بالأندلس، وواسط والجامع الكبير بأصبهان، وفي مصر**: جامع عمرو بن العاص، وجامع المقياس، ومسجد ابن الحاج بقنا، ومسجد الخضر، ومسجد القرافة ومسجد الآبي بقرية البهنسا.

ومن خلال الحلقات التي عقدت بهذه المساجد لاحظنا أن أكثر حلقات العلم ازدحاما هي حلقات الفقهاء والمحدثين، ولم يقتصر التعليم بالمساجد على العلوم الدينية فقط ولكن كان العلوم اللغوية والعقلية يتعلمها الطلاب من خلال المساجد.

- الكتاتيب: قامت بدور تعليمي في تعليم الصبيان من أهل البلدة التي بها، سواء كان هؤلاء الصبية من العامة، أم من الخاصة، كأبناء الأمراء والوزراء، وأحيانا كانت الكتاتيب لا تقتصر على تعليم الصبية بل كان يضم إليهم بعض العامة، وكانت تهتم الكتاتيب بنشر العلوم الدينية، وأحيانا كتب الحديث، وشيئا من الشعر والحساب.
- المدارس أيضا كان لها دورها التربوي البارز في مجال التربية والتعليم في تلك الفترة التي أرخ لها ياقوت إذ فيها يتجلى الموقف التعليمي والتربوي بجميع جوانبه وذلك أدعى للتعليم المثمر الفعال.
- ويتضح لنا كذلك من العرض السابق دور منازل العلماء في التربية والتعليم، إذ كانت بمثابة أماكن مقدسة يحج إليها طلاب العلم من كل صوب وحدب ومن كل فج عميق.

والتعليم فيها يتم عن طريق مجالس العلماء، ويرى الباحث أن منازل العلماء ربما تكون مقصرة في أداء دورها التربوي والتعليمي على الوجه الأكمل،وربما يرجع ذلك لكثرة

أعباء الحياة، وكثرة اهتمامات العلماء، مما لا يسمح لهم باستقبال العدد الكبير من الطلاب.

- كما نلاحظ بعض المبادئ والإسهامات التربوية السامية والتي تناولها الباحث مثل التجاوز عن خطأ الصبيان في مجالس العلماء، والتعليم دون مقابل.

وللباحث ملاحظات على النقطتين السابقتين وهي :

- لا يجوز إغفال الخطأ باستمرار بل لابد من تعديله حتى لا يثبت في ذهن المتعلم على أنه صواب ولا بد من الثواب والعقاب.
- أما عن مبدأ التعليم بدون مقابل أي دون أخذ أجرة فهذا يرجع إلى حال المعلم، إذا كان لديه ما يكفيه ويجعله يتفرغ للعلم والتعليم فبها ونعمت وإلا فهو مضطر لأخذ مقابل مناسب لما يقوم به من تعليم من الطلاب أو أولياء أمورهم، وإن كان من الأفضل أن توفر الدولة التي تتولى مسؤولية تعليم الأبناء مجانا، الأجر المناسب للمعلم وأن ترعاه ماديا وأدبيا.
- كما يتبين للباحث أن هناك أماكن متعددة لعبت دورا بارزا في التعليم وقد أرخ لها ياقوت في كتابه " معجم الأدباء " ومن هذه الأماكن:

مجالس الأمراء والوزراء، والأسواق، والشوارع والطرقات العامة، وأماكن الحروب من الأربطة والخوانق، وكذلك أماكن التجارة من الدكاكين وغيرها من محال العمل،ثم المكتبات والبيمارستانات.

وقد قامت هذه الأماكن بدور تعليمي في الأماكن المتواجدة بها، بجانب الهدف الأساسي الذي أعدت له هذه الأماكن، وهذا يتوافق مع وجهات النظر التربوية الإسلامية خاصة وبعض وجهات النظر التربوية الحديثة الأخرى، فينبغي أن يكون العلم والتعليم والتربية في كل مكان، ولكل إنسان حتى تتحقق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

وبذلك يتضح لنا أن " معجم الأدباء " لياقوت الحموي، يعد مصدرا هاما من مصادر التاريخ للأماكن التعليمية على مدار عدة قرون، حيث يمكننا من خلال هذا المصدر التعرف على أهم الأماكن التعليمية في الفترة ما بين القرن الأول الهجري وحتى القرن السابع الهجري وعليه فإن الباحث التربوي المعني بدور المؤسسات التعليمية يستطيع الإفادة من هذا المعجم من خلال الاطلاع عليه.